ألغاز الشروق



تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

صفحة فارغة


معركة
النجوم
الأخيرة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

© دار الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس: ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس: ٨٦٧٥٥٥ - تلكس SHOROK 20175 LE

(١)

حدث هذا الأمر الغريب لأول مرة فى « ألغاز الشروق » . .

أصابت الدهشة صديقنا « حب حب » عندما جاءته رسالة صديقه الجديد « لى لو » عبر الكومبيوتر الخارق .

كانت رسالة مثيرة حقا للاستغراب ، فها هو « لى لو » يطلب من « حب حب» أن يستعيد الكومبيوتر الذى تسلمه قبل ثلاثة أيام ، وأن هذا يعنى أن صديقه الصينى يتخلى عن عضويته فى نادى المراسلة الدولى . وهذا أمر مثير للتساؤل .

فليس من السهل بالمرة الحصول على عضوية هذا النادى ، ولذا فإن عدد أعضائه محدود حتى الآن ، ويكاد يكون هناك عضو واحد تقريبا فى بعض الدول منها المغرب ، وكولومبيا ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والجزائر ، وسنغافورة . وألمانيا ، ودول أخرى فى أسيا وأفريقيا .

ولأن الأمر بالغ الحساسية ، ولأن من يصبح عضوا مميزا فى هذا النادى ،عليه ان يمتلك كومبيوتر خارقا ، له قدرات اتصال ،

وإمكانيات قل أن توجد فى أى كومبيوتر معاصر ، فإن هناك شبه اختبار للشخص الذى عليه أن ينضم لعضوية النادى ، وبالتالى يمتلك مثل هذا الكومبيوتر .

وكان « لى لو » هو آخر من وقع عليه الاختيار . .

فهو يسكن منطقة بعيدة ، فى شمال الصين ، وليس هناك أعضاء فى تلك المنطقة من شرق آسيا ، عدا « كامو » من سنغافورة . .

وكان « لى لو » أسعد الأصدقاء حظا ، فهو أول ، وأيضا الوحيد حتى الآن ، من تسلم هذا الكومبيوتر ، عقب إجراء تعديلات جوهرية عليه ، تجعله اسما على مسمى . حيث استطاع « حب حب » أن يضيف إلى إمكاناته سهولة رؤية الشخص الذى يتحدث إليه على الطرف الآخر ، من خلال قدرة على إرسال الصورة ، واستقبالها ، عبر مئات الألوف من أميال . .

لذا كان « حب حب » على أحر من الجمر ، فقد تصور أن زميله ، ما أن يصله الكومبيوتر الخارق حتى سيرسل له أول رسالة مصورة ، يمكنه من خلالها رؤية « لى لو » وجها لوجه ، وهو يكتب رسالته إلى « حب حب » . . لكن المثير حقا أنه بدلا من أن تصل الرسالة إلى صديقنا « حب حب »، فإن الاعتذار سرعان

ماجاء مثيرا للتساؤل : لماذا ؟ وماذا حدث ؟

يبدو أن الإجابة لم تكن سهلة . . وكان على « حب حب » أن أن يتقصى الأمر ، حتى وان كانت وراءها مغامرة . .

(٢)

راح « لى لو » ينظر إلى الطريق الجبلى الذى أمامه ، والتفت إلى أبيه الذى جاء ليودعه مع أمه ، وأخذ يصافحه . بدا الأب رابط الجأش متماسكا ، ضغط على راحة ابنه بكل قوة ، وقال :

ـ أنت الآن رجل . . وعليك أن تكون « رأس الحربة » خلال أربعة أيام . .

ابتسم « لى لو » ومط شفتيه ، وهز رأسه كأنه يؤكد لأبيه أنه سوف يحقق رغبته مهما كان الثمن . هنا أكمل الأب كلماته :

ـ سوف تصعد الطريق . . وحين تصل إلى الجبل الأسود . . افتح الصندوق . . اقرأ الوصايا الأبدية . . ونفذ الوصية السابعة . . وعندها ستكون « رأس الحربة » . .

انحنى الأب نحو ابنه ، وقبله بكل حنان ، ثم التفت إلى أمه التى تحاول أن تغالب دموعها ، واقتربت منه ، وقالت :

ـ من يسمع نصائح الكبار . . يكسب فى النهاية .

رد « لى لو » : لقد سمعت نصائحكما دائما . . إلى اللقاء . .

ووقف أبناء العشيرة الصغيرة يودعون زعيمهم المنتظر . فخلال أربعة أيام فقط ، على « لى لو » أن يصبح زعيم طائفة الشاولين الجديد ، وذلك بمناسبة بلوغه سن الرابعة عشرة .

كان الأمر صعبا للغاية على « لى لو » ، ليس فقط لأن أمامه رحلة شاقة غير مأمونة العواقب والنتائج ، بل لأنه فوجئ بكل هذا ، وهو الذى لم يستعد للزعامة من قبل . وتلك مفاجأة الشاولين الكبرى ، أن يتم إخفاء اليوم الذى على الزعيم الجديد أن يصبح فيه « رأس الحربة » . وهو اسم الزعيم الذى يتولى قيادة تلك الجماعات الصغيرة من البشر التى تعيش فى هذه المنطقة من السفح الغربى لجبل « سونج شان » فى مقاطعة « هيتان» بشمال الصين .

لقد كاد أن يبلغ سن الرابعة عشرة . . وعليه أن يكون زعيما فى هذا السن المبكر .

لكن الأمر ليس سهلا . . فهو لم يكن يدرى أن هناك أشخاصا آخرين يزعجهم هذا الأمر ويسعون إلى إيقافه بأى ثمن . .

فترى ماذا هناك ؟

(٣)

إنه مكان غريب .

صفحة فارغة

فهاهى المعابد عبارة عن مبان صغيرة وذات أشكال غريبة رغم أنها متعددة الطوابق . وهاهى ساعة الصباح قد حانت، فخرج الشباب الأقوياء ، والمعلمون الكبار من أجل ممارسة عادتهم الصباحية كل يوم .

فجأة ، انطلقت صرخة عالية ، جماعية من الأفواه ، فبدت كأنها سوف تهز كل تلك المبانى الصغيرة وتقتلعها من جذورها اقتلاعا .

رفع « المعلم الأكبر» الواقف أمام رجاله الأشداء يده إلى أعلى . باشارة ذات دلالة خاصة فارتفعت العيون إلى اليد ، وأدركت أن الأمر حاسم . وأن أمامهم مهمة عليهم تنفيذها . .

بدت ملامح المعلم الأكبر « أوسو » جامدة ، وخلت عيناه من أى تعبير بشرى يمكن به معرفة مايدور فى أعماقه . ثم استعد لأن يتكلم . تهافتت القلوب الجامدة لمعرفة ماينتظرها اليوم . وراحت تتطلع إلى شفتىّ « أوسو » الذى شدد على يديه فبرزت عضلاته كأنها تود أن تخرج من جلودها التى تكسوها ثم قال بصوت أجش ، ملىء بالقسوة :

ـ الصندوق المقدس . . إنه فى خطر . .

وسكت من جديد كأنه يستعد لإصدار أوامره :

ـ وسوف نستعيده من الشاولين . . هه ؟

ونطق كلمة « هه » بكل قوة ، وكأنه يستحث مشاعر رجاله على المزيد من التحدى . . وسرعان ما انطلقت صرخة عالية موحدة من الرجال الذين رفعوا أياديهم اليمنى مرة واحدة ، نحو السماء ، معلنين قبولهم للمزيد من التحدى . . هنا ، قال «المعلم الأكبر » :

ـ انتم تعرفون « الشاولين » . . إنهم أقل عددا . . ولكن لايستهان بقوتهم . .

ومن جديد أطلق الرجال نفس الصيحة ، بنفس القوة ، وكأنهم يختبرون إصرارهم على إطاعة أوامر المعلم الأكبر . أنزلوا أياديهم اليمنى ، ثم رفعوها مرة أخرى ، وقد باعدوا بين الإبهام ، والسبابة . وكأن هذا إشارة على المزيد من التحدى . .

هنا استرخى « المعلم الأكبر » فى مكانه ، ثم شدد على قبضته ، وانتصب من جديد ، وبكل ماوهبه الله من قوة ، صرخ بصوته العالى ، وقال :

ـ إلى « الصندوق المقدس» . .

وتعالت صيحة واحدة من الرجال كأنهم يؤكدون استعدادهم لاستعادة «الصندوق المقدس» مهما كان الثمن ومهما علت المخاطر.

(٤)

ـ بالتأكيد إنه يواجه المتاعب . .

هكذا ردد « حب حب » وهو يقرأ كتابا عن تاريخ الشاولين .

تمتم ، إنه فى خطر فالكونج فو سوف يتربصون به .

أحس « حب حب » أن هناك شيئا ما دفع صديقه إلى أن يعلن أنه سيعيد الكومبيوتر الخارق إليه مرة أخرى ، وإنه بذلك ينهى علاقته ، التى لم تبدأ بعد ، بنادى المراسلة الدولى ، لذا توجه إلى المكتبة الكبرى فى المدينة ، وبحث عن أحدث كتاب حول الشاولين ، لم يكن الأمر سهلا ، فليست هناك كتب عن الشاولين ، وإن كان المؤلفون قد كتبوا كثيرا عن «الكونج فو» . . لكنه قبل أن يخرج من المكتبة خاوى الوفاض . أخبرته أمينه المكتبة أن لها صديقا سبق أن حدثها عن هذا الأمر . وأنها يمكن أن تدبر له كتابا خلال ساعات . .

وما إن وصل الكتاب إلى « حب حب » حتى راح يلتهم سطوره. قبل أن يقوم بوضع كل ماحصل عليه من معلومات حول هذه الطائفة الصينية فى الكومبيوتر الخارق .

كان ماقرأه جذابا ولطيفا ، فقد بدأ ظهور «الشاولين» فى خلال أسرة الإمبراطور «وى» والتى استمرت فى الحكم من عام ٣٨٦ إلى

عام ٥٣٤ . حين أمر الحاكم ببناء معبد من أجل كاهن هندى كان يجيد فنون الدفاع عن النفس بطريقته الخاصة . . وإن هذا الكاهن قد وضع كل حكمته فى صندوق صغير ، راحت الأجيال المتلاحقة من أتباعه تتوارثه . وإن هؤلاء الأتباع كانوا مثار دهشة من الحكام أحيانا ، ومن المنافسين فى أحيان أخرى . وكم عانوا من متاعب من منافسيهم ، خاصة رجال «الكونج فو» الذين كانوا يوما ما جزءا منهم . ثم انفصلوا عنهم وأصبحوا يرون أن من حقهم وحدهم امتلاك «الصندوق المقدس» .

ووسط هذا الصراع تحول معبد «شاولين» إلى مكان نموذجى لهؤلاء الذين يجيدون فنون القتال . ولكنهم فى نفس الوقت يمتلكون فلسفتهم العميقة . فالشاولينية لدى أبنائها هى أولا إدراك . ثم هى طريقة للحفاظ على اللياقة . وثالثا هى طريقة للدفاع عن النفس .

ومن خلال ماقرأه « حب حب » عرف أن الإدراك يتعلق بحاجة المتدربين إلى فهم فلسفة الحياة . وبتهذيب السلوك الأخلاقى والعواطف كى توازن الجسد والعقل .

ورغم أنهم يجيدون كافة فنون المصارعة ، بالسيف ، وبدونه . فإن فلسفتهم فى فهم الحياة تعد نوعا من التوازن . وليس إجادتهم لفنون القتال إلا من أجل الدفاع عن فلسفتهم . .

تمتم « حب حب » : رائع . . الحق . . والقوة . . إنه توازن رائع . .

وعندما انتهى من قراءة الكتاب ، انتابته فكرة أن يقوم بالسفر إلى هناك ، ولكن شيئا ما جعله يتراجع فى اللحظة الأخيرة . .

(٥)

وبدأت رحلة « لى لو » نحو الجبل الأسود من أجل أن يكون «رأس الحربة » .

وقبل أن يقبل أمه القبلة الأخيرة، وجد يده فجأة تتحسس شيئا صلبا ، بين ملابسه التقليدية المزركشة . فلمعت عيناه . وتذكر شيئا هاما . . تمتم :

ـ يجب أن أعيده . . فلست بحاجة إليه . .

كان يعرف أن عليه أن يعيد « الكومبيوتر الخارق » إلى صاحبه «حب حب»، فقد اختار لنفسه طريقا مختلفا . وعليه بعد أن يصبح « رأس الحربة » أن يتحول إلى شخص آخر يهتم بالفلسفة . وبوجود الإنسان ، وعلاقته بالكون ، والحياة ، وليس فى الفلسفة الخاصة به كصبى « شاولينى » ينحدر من نسل الكاهن الأكبر الذى بنى المعبد مايجعله يستخدم الأجهزة العصرية ، خاصة مثل هذا « الكومبيوتر الخارق » .

تمتم « لى لو » : هناك من هو أحوج منى له . .

فكر فى أن يخرجه ويقدمه إلى أبيه كى يعيده عن طريق البريد المضمون إلى « حب حب » ،لكنه أحس أن شيئا ما يدفعه أن يحتفظ به معه . . وأنه قد يحتاج إليه فى هذه المغامرة الغامضة التى هو فى الطريق إليها . .

وانطلق مع رجاله نحو أول الطريق . .

لم يكن رجاله يتعدون الخمسة عشر شخصا ،عليهم حمايته من أخطار الطريق ومساعدته فى الوصول آمنا إلى « الجبل الأسود » كى يصبح « رأس الحربة » ،والغريب أن أيا من هؤلاء الرجال الذين يرتدون الملابس الرسمية لعشيرة «الشاولين » لم يكن أى منهم يحمل أى نوع من الأسلحة ،ولم يكن أحدهم يضع فى ملابسه أى شىء معدنى إلا ذلك الكومبيوتر الخارق الذى لم يشأ « لى لو » التخلص منه . . كما لم يكن أى منهم يحمل مئونة للأكل والشراب . . فهم يعرفون جيدا أن من فلسفتهم الخالدة أن من لايعمل لايأكل ، وأن عليهم أن يتدبروا الطعام من الطريق بأى وسيلة . .

ما إن انطلقوا فى الطريق سيرا على الأقدام وابتعدوا مسافة كيلومتر واحد حتى سمعوا صوتا ينادى . .

التفت « لى لو» نحو مصدر الصوت الذى يعرفه جيدا ، وتمتم :

ـ يا إلهى . . ما الذى أتى بها ؟

ورأى الفتاة تنطلق عبر المنحدر بكل سرعة ، لدرجة أنه أحس بالخوف ، إنها قد تتعثر فى أحد هذه الأحجار الكثيرة فتسقط من فوق المنحدر ويصيبها سوء . .

(٦)

إنه « جيش من رجال الكونج فو » . . وليسوا مجرد رجال قليلى العدد .

إنه جيش ذاهب إلى حرب . . وليس من أجل استعادة الصندوق المقدس . . فهم يزيدون عددا عن المائتى شخص . ، مسلحين بالسيوف الحادة ، والمديات المسنونة جيدا وأيضا بالعزيمة القوية لأن يستعيدوا صندوقهم بأى ثمن .

بلغت حساسية هذا الموقف فى أن كل هؤلاء الرجال قد حصلوا على درجة الـ « سى ـ ديا » ، وهى أعلى درجات التدريب فى عالم الكونج فو ، وتعنى « الاستاذ » ، ولذا فإن المعلم الأكبر لم يقم باختيارهم عبثا ، وإنما لأنه يعرف أى مواجهة ستحدث مع رجال «الشاولين» حتى وإن كانوا أقل عددا .

لذا كان كل همه هو أن يشحذ مجموعة من أمهر رجاله ، من أجل الحصول على « الصندوق المقدس» . إنهم جميعا رجال

يتمتعون بقوة جسمانية عالية ، وقوة داخلية تستطيع أن توجه المؤمنين بها إلى ممارسة أى شىء ، لذا فلا يمكن لقوة ما أن تقف فى مواجهتهم .

ولأن الزعيم الأكبر يعرف جيدا قيمة رجل واحد من «الكونج فو»، فإنه كان واثقا أن رجاله الكثيرى العدد سوف يتغلبون على مجموعة رجال الشاولين ، قبل أن يصلوا إلى قمة « الجبل الأسود » وقبل أن يتمكن زعيمهم المنتظر « لى لو » ان يصبح « رأس الحربة » بوقت كاف .

إنها المرة الأولى فى تاريخ الجماعات الروحية الصينية التى عليها أن تتصارع فيما بينها ، فهو تاريخ طويل ،على جبهة واحدة فقط الآن أن تتولى زعامته . من أجل لم شمل الجميع . .

لذا ، فإن « الزعيم الأكبر » يؤمن جيدا أن هذه المعركة سوف تثبت لجميع الطوائف الأخرى أن مجموعته هى الأقوى وأن من ينتصر على «الشاولين» لايمكن أن ينهزم أبدا أمام بشر . .

كان على « أوسو » المعلم الأكبر ، أن يفعل أى شىء من أجل إثبات قوته ، وأنه لايمكن لأحد أن يباريه فى امتلاك مثل هذه القوة، وإن العرش الذى سيحصل عليه عندما يستولى على «الصندوق المقدس » يستحقه فعلا . .

لذا ، انطلق الرجال فوق جيادهم القوية نحو طريق «الجبل الأسود » . . وبدوا كأنهم فى سباق مع الزمن ، وأن عليهم الوصول إلى هناك ، قبل أن يتوغل « لى لو » كثيرا مع رجاله فى الأدغال . والجبال ، حتى يكون لهم شرف القيام بهذه الرحلة بأكملها ، بعد أن يتخلصوا من منافسيهم .

وبالفعل ، فقد وصلوا بعد ساعتين فقط من بداية الرحلة إلى أول منطقة الأدغال الكثيفة التى تؤدى إلى «الجبل الأسود» . .

وبدأت المواجهة .

(٧)

لم يتحمس « حب حب » كثيرا للسفر إلى الصين . رغم أنها المرة الأولى التى يسافر فيها إلى تلك البلاد الواسعة التى يسكنها أكثر من مليار نسمة من البشر .

فقد رأى أن الصين بعيدة وأنه لو سافر حاليا إلى هناك ، فسوف يدفعه فضوله إلى التدخل فى أمور صديقه « لى لو » الذى أحاط أمر تنازله عن « الكومبيوتر الخارق » بسرية جعلت فضوله يزيد .

ورغم ذلك ، رأى « حب حب » أن يترك لزميله الحرية فى ألا يبدى أسباب تنازله عن عضويته فى النادى .

كان مبدأ « حب حب » هو ألا يتعمد صناعة المغامرة ، وأن

صفحة فارغة

يترك المغامرة تأتى إليه . ليس أبدا من أجل الهروب من المتاعب ولكن لأنه يميل حين يصبح سندبادا جويا إلى التمتع بالرحيل . والتعرف على التاريخ والبشر فى البلاد التى يذهب إليها .

ورغم أنه يتوق منذ فترة للرحيل إلى الصين، فإنه أرجأ السفر وقرر أن يعكف على قراءة المزيد عن «الكونج فو » و«الشاولين» ، بل أن يعاود تدريباته فى الصالة القريبة من منزله ليكون أكثر مهارة فى الدفاع عن النفس .

فجأة ،وبينما هو يعد ملابسه كى يذهب إلى صالة التدريب انطلقت الإشارة البنفسجية من« الكومبيوتر الخارق» الذى يضعه فى جيبه وانطلق صوتا مميزًا مما جعل « حب حب » يسرع بإمساك الكومبيوتر واستعد لاستقبال إشارة الإنذار .

هتف :

ـ يا إلهى . . إنه « لى لو » !!

كان هذا يعنى أن « لى لو » فى خطر ، وأنه يستنجد به . راح يرسل إشارته إلى صديقه الصينى بعد أن ضبط التردد على تردد الكومبيوتر الذى يملكه « لى لو » ، وتساءل عما هناك . .

توقفت الإشارة البنفسجية فجأة .

وانقطع الاتصال . .

سرعان ما تطلع « حب حب » إلى السماء ، كأنه يبحث عن صقره الذى لايتوقف عن الطيران هناك والذى سرعان ما أدرك أن « حب حب » سيرحل خلال دقائق لا أكثر . .

بدا الأمر مثير فعلا . .

(٨)

وجد « لى لو » نفسه فى موقف لايحُسد عليه . .

فقد احتشد مئات من رجال « الكونج فو » عند أطراف الغابة ، وراحوا يقتربون منه وكأنهم يستعرضون قوتهم ، أخذوا يطلقون صيحاتهم المألوفة التى تبعث الخوف فى القلوب وهم يقتربون أكثر فأكثر .

استعد رجال الشاولين من أمهر الفرسان للدفاع عن زعيمهم المنتظر « لى لو »، فراحوا ينصبون أجسادهم ، ولمع التحدى فى عيونهم ، وقد صنعوا دائرة صغيرة ، يحتمون فيها ببعضهم البعض وراحوا ينظرون فى كل الاتجاهات . فهم يعرفون أن رجال « الكونج فو » يمكنهم الهجوم من جميع الجهات من الناحيتين اليمنى واليسرى وأيضا من الخلف والأمام وربما من أسفل . ولذا استعدوا للمعركة المنتظرة التى تبدو وكأن ضحاياها سيكونون م كثيرين لقد رأى زميليه . . س سان . . فى اطراف الجبل ، تحاول أن تحذره من

الخطر القادم ، ثم اختفت .

راح فرسان « الكونج فو » يستعرضون قوتهم . وكأنهم يرقصون ، انطلق بعضهم يطير فى الجو كأنهم صقور سوف تنقض على فريستها ، أما البعض الآخر يدور حول نفسه ، كأن جسمه تحول إلى زمبرك يعرف كيف يتحكم فى دار حركته .

بدا الأمر كأنه استعراض قوى . ليس فقط بهذا العدد المتعاظم من أبطال «الكونج فو» ، بل أيضا من حركاتهم الاستفزازية التى قد تثير الرعب فى قلوب « الشاولين » وتجعلهم يتراجعون بسهولة عن أى مواجهة .

راح « لى لو » يفكر بسرعة . وقرر أن يفعل شيئا . صاح :

ـ سوف نسلمهم « الصندوق المقدس » .

وقبل أن يكمل عبارته ، رد « بو » رئيس الحرس : سيكون ذلك فوق أجسادنا جميعا . .

وأحس « لى لو » بخبرته البسيطة أن الأمر سوف يثير المتاعب . وأن عليه كزعيم منتظر ألا يتراجع عن قراره . فقال مجددا :

ـ سوف نسلمهم الصندوق بعد أن نموت .

علق « بو » : سنموت أولا . . فلدينا أيضا قواتنا . .

كان يعرف أى قوة يمكن لرجاله القلائل أن يمتلكوها ، فهم

لايسعون إلى استعراض قوتهم مثل هذا الحشد من رجال « الكونج فو » الذين يعرفون بدورهم أن خصومهم الأقل عددا يمكنهم أن يلحقوا بهم هزيمة منكرة . .

وبسرعة ، فرد كل رجل من الشاولين ذراعيه ، وثبت نفسه فى الهواء . وكأنه قد تحول إلى تمثال لاحياة فيه ، ولم يكن منظرهم يوحى قط بأنهم سيدخلون معركة ، بل سيستسلمون تماما . .

(٩)

وانطلقت طائرة « حب حب » بمحركها الجديد فى الجو .

هذا المحرك الصغير الأكثر قدرة ، يمكنه أن يجعل الطائرة تنطلق بسرعة ٤٥٠ كيلومتر فى الساعة ، وذلك عكس المحرك القديم الذى كان للطائرة فيها قبل ، فى مغامراته السابقة .

كانت المشكلة هنا هى كيف يمكن للصقر « رف رف » أن يطير فى إثر الطائرة وهى تنطلق بهذه السرعة ، فرغم قوة الصقر فإنه لايستطيع قط أن يصل إلى هذا الحد . ورغم جناحيه القويين فإنه ككائن حى له حدوده القصوى التى لايمكن أن يتجاوزها .

وأمام هذا التطور لم يتوقف « حب حب » عن التفكير ولم يتأخر فى العثور على وسيلة ، وذلك بأن استطاع أن يجعل الصقر يتعلق بمنقاره القوى بمشبك خاص فى خلفية الطائرة وبذلك فعلى

« رف رف» أن يجرب نوعا جديدا ومثيرا من الطيران ، عليه فقط أن يحرك جناحيه وأن يمسك المشبك بكل قوة بمنقاره .

واكتشف « حب حب » وهو فى الجو أن ثقل الصقر لم يعرقل الطيران ، ولا سرعة الطائرة الجديدة ، بل إن حركة الجناحين قد ساعدت فى خلخلة الهواء حول الطائرة فساعدتها فى الانطلاق نحو الأمام . .

كانت الرحلة طويلة أيضا هذه المرة . .

إنها نحو بلاد بعيدة ، عليه أن يمر فوق الجزيرة العربية . والمحيط الهندى وشبه الجزيرة الهندية ولامانع من أن يطير فوق جبال الهيمالايا ، أعلى الجبال وأوسعها فى العالم، وأن يرى التبت . ويصل إلى الصين أكبر بلاد العالم من حيث عدد السكان .

فى هذه المرة ورغم أن الرحلة جديدة بالنسبة له فإنه لم يحاول أن يستمتع بجغرافيا المكان . ولكنه كان على عجالة من أمره فيجب أن يصل إلى الصين فى الوقت المناسب لأن عليه أن يعرف أى خطر يحدق بصديقه « لى لو » الذى لايزال الضوء البنفسجى ينطلق من كومبيوتره ، معلنا أن هناك خطرا ما . .

ولأول مرة فى رحلاته لم يهتم « حب حب » بإن يعرف المزيد عن البلد الذى يتوجه إليه . . لكن المتاعب التى قد يواجهها يمكنها

أن تدفعه إلى ذلك . .

(١٠)

لم يجد « لى لو » أمامه سوى أن يضغط على زر الخطر فى الكومبيوتر الخارق الذى يمتلكه . . لم يعرف لماذا فعل ذلك . لعله كان متوترا من شدة الخوف ، لما هو مقبل عليه ، هو ورجاله ، وتلك المسئولية الضخمة الذى عليه أن يحملها ، وهو يرى رجال «الكونج فو » مقبلين على رجاله من أجل حسم المعركة المنتظرة التى لايعرف أحد نتائجها .

لذا ، لم يكن أمامه سوى أن يضغط على الكومبيوتر الخارق ، ولم يكن يقدر أن « حب حب » وأعضاء النادى إنما لايستطيعون أن يفعلوا شيئا بالنسبة له . .

كان المنظر غريبا حقا . فقد ثبت رجال «الشاولين» أنفسهم وكأنهم تماثيل لاتتحرك ، ورفع كل منهم يده اليمنى إلى أعلى كأنه يقوم بلاستسلام إلى خصمه ، وكأن هذا نوع من الهزيمة فمن ينظر إلى عيونهم لايتصور قط أن هناك حياة فيها وأن مصيرهم هو النهاية .

ورغم ذلك ، فإن رجال « الكونج فو » أصابهم الرعب من هذا المشهد الغريب ، وسرعان ماتوقفوا عن حركاتهم الاستفزازية وعن

استعراض العضلات فوقفوا فى أماكنهم وراحوا يرقبون الأمر بكل حذر .

التفت كل منهم إلى الآخر ، وقد لمعت التساؤلات فى عينيه ، وكأنه يسأل :

ـ ماذا يحدث بالضبط ؟

لم تكن هناك إجابة محددة . حتى « المعُلم الأكبر » نفسه بدا مندهشا وهو يشاهد هذه القلة من الرجال وقد تصلبت تماما فى أماكنها . بينما حمل « لى لو » الصندوق المقدس بين يده اليمنى وهو يضغط باليسرى على الكومبيوتر الخارق .

بدا الأمر غريبا وكأن صورة ما قد تثبتت وتوقفت فيها الحياة وأحس رجال «الكونج فو» بالشلل المؤقت ، وهم لايعرفون ماذا سيفعلون بالضبط . أما « المعُلم الأكبر » . فقد أحس أن رجاله قد يفقدون ثقتهم بأنفسهم رغم أعدادهم الكبيرة ، فراح يتماسك وبكل قوة حاول استعادتها فى صوته ، صرخ :

ـ حطموا كبرياءهم . .

وذاع صوته بين رجاله ، حاولوا أن يتماسكوا وأن يطيعوا أمر «المعلم الأكبر » لكن هذا لم يحدث توا . كان يعرف أن هذه الحالة من « الثبات » تعد أخطر مرحلة فى مواجهة رجال «الشاولين» ، وأن

الأمر لن يمر بسهولة . .

(١١)

أحس « حب حب » فجأة كأنه ضل الطريق . .

فهاهى الطائرة تطير فوق جبال الهيمالايا التى حاول أن يتحاشى الطيران عندها ، وهى منطقة طيران مليئة بالمطبات الهوائية . وراح يبحث فى خريطة الكومبيوتر عن الطريق .

لكن الأمر لم يكن سهلا . .

واكتشف أن ماوقع فيه كان بسبب اندفاعه وأنه لم يجمع المعلومات الكافية عن الطريق الذى يسلكه أولا عن البلد الذى سيقوم بزيارته .

ولذا ، سرعان بدأ أن يلملم معلوماته ، وبدا كأنه سيعتذر إلى الكومبيوتر الخارق الذى يجمع معلومات غزيرة عن موضوعات لانهاية لها ، وأن عليه أن يمده بالمزيد من المعلومات حول الصين التى لاتعتبر فقط أكبر دولة فى العالم من حيث عدد البشر الذين يسكنونها، ٢ر١ مليار نسمة ، بل أيضا لأنها دولة ذات تاريخ عريق مثل مصر واليونان وذات حضارة أصيلة ساعدت فى تقديم العديد من الاختراعات التى يستخدمها البشر حتى الآن . ولذا كانت محط أنظار الرحالة فى كل زمان ومكان . ورحل إليها العرب

وخاصة التجار الذين نجحوا فى أن يوصلوا الإسلام إليها فى القرون الهجرية الأولى . .

الصين . . يالها من دولة . !!

هكذا ردد « حب حب » وهو يعرف أن هؤلاء السكان يعيشون فوق ٩٫٥ مليون كم٢ تقريبا . وأن البلاد تقع من الشرق على المحيط الهادى ، ومن الغرب تحفها جبال التبت والهيمالايا التى تقع على مساحة ٤ آلاف كم مربع . وهى المعروفة باسم « قمة العالم » .

وأشار الكومبيوتر الخارق فى صحيفة بياناته عن الصين أن بها عددا ضخما من الأنهار يصل إلى ١٥٠٠ نهر . ولذا تشتهر بزراعة واستهلاك الأرز . ومن أهم هذه الأنهار « يانج تسى » أو النهر الأصفر .

وفى الصين سكان من أصلين مغولى وتركى . ويعيش ٣٥ مليون مسلم . لكن الديانة الأساسية هى البوذية التى ترجع إلى الحكيم بوذا ، الأمير الهندى الذى توصل إلى سر « الخلاص » .

وعرف « حب حب » أن بكين العاصمة قد وصل تعدادها إلى ٨٥٫٥ مليون نسمة أى أن مدينة القاهرة أكثر منها ازدحاما ، وذلك لأن الناس يميلون إلى أن يعيشوا فى القرى والمدن الأخرى .

وفى بكين عاش الزعيم ماوتسى تونج الذى أسس الصين

الحديثة . منذ أن تولى الحكم عام ١٩٤٩ وحتى وفاته عام ١٩٧٦ . ثم الزعيم دنج شياوبنج المولود فى عام ١٩٠٤ .

وفهم « حب حب » لماذا ظهر « الكونج فو» ، والشاولين فى هذه البقعة من العالم ، فهم أناس يبحثون عن فلسفاتهم الخاصة فى ممارسة الحياة .

إنه الآن يكاد أن يعرف الطريق، وعليه أن يطلب المزيد من الكومبيوتر الخارق ، ربما يمكنه أن يستفيد من كل ذلك فى مغامرته المنتظرة .

(١٢)

وراح رجال « الكونج فو » يتطايرون فى الجو وهم يصرخون .

لا ، لم يكونوا يستعرضون قوتهم هذه المرة . بل كان الصراخ من شدة الألم الذى أصاب بعضهم ، وهم يتطايرون ثم يسقطون أرضا .

كان مشهدا غريبا حقا . فبعد أن كانوا يصرخون من القوة الزهو، هاهم يترنحون أرضا ويتراجعون إلى الخلف بعد أن أصابتهم ضربات فرسان «الشاولين » .

بدأت المعركة غريبة الشكل . فما إن راح « المعلم الأكبر » يستحث رجاله للهجوم على هذه المجموعة الصغيرة من «الشاولين»

حتى تغيرت موازين المواجهة . لم يكن أمامهم سوى الطاعة . .، واستطاعوا أن يتجاوزا حالة الحيرة العابرة التى استبدت بهم حين قال المعلم الأكبر :

ـ حطموا أذرعتهم . . فهى مصدر قوتهم . .

كان يعرف أن فلسفة «الشاولين» تقوم أساسا على أن العقل وحده هو الذى ينتصر على الخصم ، وإنه فى حالة المواجهة البدنية يمكن للفارس أن يركز كل قوته فى عقله ، وأن يرسلها إلى ذراعيه ولايكفيه فى هذه الحالة سوى أن ينتصر .

ولأن هؤلاء الرجال من «الكونج فو» قد حصلوا على درجة «السى ـ ديا » فسرعان ماتماسكوا . فهم مصنوعون أساسا من أجل المواجهة مهما كانت نتائجها . وعليهم أن يحطموا أذرعه رجال « الشاولين» بأى ثمن .

ولكن ما إن بدءوا يتماسكون وراحوا يقفزون فى الهواء نحو «الشاولين» فرادى حتى كانت الصدمة المنتظرة .

فبكل قوة طار رجال « الكونج فو» آليا وراحوا يرمون بأنفسهم فوق «الشاولين» ، ولكن قبضاتهم الفولاذية راحت تتحرك كأنها بندول الساعة. ودفعت كلا منهم فى الهواء مرة أخرى، وقد كادت أكتافهم أن تنخلع من قوة الضربة التى تلقاها كل مقاتل .

واستبدت دهشة مؤقتة مجددة فى وجوه بقية الرجال . . هنا صاح « المعلم الأكبر » :

ـ لاتهجموا فرادى . . اهجموا جميعا . . وسوف تغلبونهم . .

ولم يكن أمامهم سوى أن يهجموا جميعا ، بكل هذه الأعداد الضخمة ، من رجال « الكونج فو » المدربين .

(١٣)

واكتشف « حب حب » أنه لايعرف سوى القليل عن رياضة «الكونج فو » وأحس أنه قد أخطأ مجددا ، فإذا كان قد طالع كتابه عن فئة« الشاولين» فلماذا لايعرف عن خصومهم وعن رياضتهم الشهيرة وخاصة أنه لاعب كاراتيه حاصل على « حزام أسود » .

لم يندهش « حب حب » حين عرف أن «الشاولين» هم أحد صفوف «الكونج فو» . والتى أصبحت مع مرور الزمن ذات خصوصية ، خاصة وان لكلا الفريقين رياضته التى يدافع بها عن نفسه ، من أجل إبقاء فلسفته على مدى التاريخ تتوارثها الأجيال . وما « الكونج فو » إلا نوع من الفنون القتالية الصينية . ولذا فإن كل مدارس « الكونج فو » نبعث من معابد الشاولين وإن رجال «الكونج فو» المعاصرين قد يتباهون بقوتهم وقد طوروا فى أساليبهم ولكن رجال الشاولين الأقل عددا قد مالوا إلى البقاء فى المعابد التى

تقع فى الجبال العالية ولم يسعوا كثيرا إلى الاتصال بالحضارة المعاصرة .

وعلم « حب حب » أن هناك خلافا أساسيا قام بين رجال «الكونج فو » و« الشاولين » عقب رغبة المعلم الأكبر « شيوهون سانج» فى أن يجعلها ظاهرة عالمية وخاصة فى السنوات الأخيرة حيث عرف الناس هذه الرياضة بشكل أكثر اتساعا بعد انتشار أفلام الكاراتيه «والكونج فو» وبعد أن حقق نجوم هذه اللعبة شهرة عالمية فى مجال السينما مثل بروس لى الذى مات فى ظروف غامضة . وكذلك ابنه براندون لى .

كان «الشاولين» يرون أن فلسفتهم خاصة وليست عامة ، وأن على أبنائهم أن يعيشوا داخل بيوتهم الصغيرة فى أمن وسلام ، أما بعض رجال «الكونج فو» ، فقد سعوا إلى الشهرة والحصول على المزيد من الأموال ، ويتناقض هذا تماما مع فلسفة الروح والعقل التى ورثها الجيل الحالى عن الكهنة القدامى .

هنا شرد « حب حب » بعيدا وراح يفكر فى أمر بدا له كأنه غامض ، وأنه قد وجد له تفسيرا مقنعا فتمتم :

ـ بالتأكيد ، لقد لقى « لى لو » معارضة من أسرته عندما وصلهم الكومبيوتر الخارق .

(١٤)

وانتهت المعركة كما لم يتوقع أى من الطرفين المتنافسين . .

لم يتوقع « بو » أن يقوم كل هؤلاء من الرجال بالقفز مرة واحدة فوق مجموعته الصغيرة ، وكأنهم جبل بشرى هبط فجأة على عشرين رجلا من« الشاولين» ، فلم تستطع القوة التى تركزت فى قبضاتهم أن تفعل شيئا بالمرة .

طار الرجال فجأة وبكل مالديهم من قوة راحوا يصرخون ، وبدت صرخاتهم كأنها قادمة من أعماق «الجبل الأسود» البعيد ، ورأى « لى لو » رجاله الذين انتصبوا وقد تلقوا الضربة بكل شجاعة ، فراحوا يحركون أذرعتهم بشكل لولبى واستطاعوا أن يسقطوا بعض الخصوم أرضا ، لكنهم مالبثوا جميعا أن وقعوا فوق الأرض حول الكتل البشرية التى يمثلها رجال «الكونج فو» .

هتف « لى لو » : يا إلهى . . هذا ما عملت حسابا له . .

وبسرعة تمكن رجال « الكونج فو » من السيطرة على الموقف وانطلقت مجموعة استعدت لهذا الغرض وشدوا رجال الشاولين بحبال خاصة لايمكن لأحد مهما كانت قوة عضلاته أن يتخلص منها .

لم يحاول « لى لو » أن يهرب وهو يحمل صندوقه ولم يكن يستطيع

أن يفعل ذلك أبدا . فسرعان ما أحاطه الرجال من كل الاتجاهات، وكأنهم يستعدون للقفز عليه أيضا مثلما فعلوا مع رجاله . هنا قال « المعلم الأكبر » :

ـ دعوه . . فهو بلا ذراع . .

وسرعان مافهم « لى لو » ماذا يقصد « المعلم الأكبر » بالضبط . فهو لايملك أى قوة فى ذراعه مثل بقية رجاله ولايمكنه المقاومة بالمرة . .

راح يضم «الصندوق المقدس» إلى صدره . . كأنه يعلن عن احتفاظه به . وامتلأت عيناه بالقوة لكنها قوة ضعيفة إزاء ذلك الجبل الضخم من الرجال الأقوياء . .

اقترب منه « المعلم الأكبر » وقال :

ـ لابد للكونج فو أن ينتصر . .

أعطى الرجل لاسم عشيرته معنى الحق . . قال «لى لو» وقد امتلأ بالعزيمة :

ـ تخلصوا منى قبل أن تأخذوه . .

ضحك «المعلم الأكبر» فى سخرية واستهزاء ، وهو يمد يده إلى الصندوق قائلا :

ـ نحن لانبالى بالصغار . . بعد أن هزمنا الكبار . .

ولأول مرة يشعر « لى لو » بطعم الهزيمة . . وكم كان طعمها مرا . .

(١٥)

ووصل «حب حب » إلى الصين أخيرا .

كان عليه أن يتوجه فورا بطائرته نحو شمال البلاد . إلى مقاطعة «هينان » ، حيث دارت المواجهة الحاسمة بين« الشاولين» و«الكونج فو» لصالح رجال هذا الفريق الأخير .

لم يكن يعرف أن الدخول إلى هذه المنطقة أمر بالغ الصعوبة وأنه سوف يتعرض لمتاعب عديدة من الصعب مواجهتها .

بدأت لمتاعب تلوح فى الأفق عندما تم رصد طائرته على شاشات رادار المقاطعة . إنه رادار خاص تمتلكه عشيرة « الكونج فو» ، وسرعان ماصدرت الأوامر لإيقاف هذه الطائرة وإعادتها من حيث جاءت .

وبسرعة استعد رجال« الكونج فو» للتصدى لطائرة « حب حب» .

فقد تأهبت السهام الأرضية للانطلاق نحو الطائرة، وراح رجال مهرة يعدون السهم العملاق وتوجيهه نحو الطائرة ، على قادر أن احتراق أقوى الأجسام الطائرة فى الجو ، شريطة أن يتولى

ذلك رام ماهر يمكنه أن يصوب السهم نحو الطائرة وأن يحسب بكل مهارة سرعتها والاتجاه الذى تسير فيه ، وعليه بكل دقة أن يضغط على السهم والذى يجب أن ينطلق برأسه الممغنط نحو الهدف المعدنى كى يخترقه . .

وبينما استعد الرامى للقيام بهذه المهمة البالغة الحساسية كانت العيون ترصد الطائرة على شاشة الرادار وأيضا فى العراء . . وراح الرامى يحدد اتجاه الطائرة بعينى الخبير ، وانطلق يدوس على طرف القوس كى ينطلق السهم الممغنط . .

هنا صاح قائد قوات المراقبة :

ـ قف . .

ولكن السهم كان قد انطلق إلى السماء . . صاح القائد غاضبا :

ـ هناك صقر . . ونحن لانقتل الصقور . .

كان الجميع يعرف أنه من الممنوع على أى غريب أن يدخل تلك المنطقة، لكن ظهور الصقر إلى جوار الطائرة غير موازين الأمور تماما . فرجال« الكونيج فو »يعتبرونه صديقا لهم منذ قديم الأزل . .

مهما كان ، فالأمر خطير بالنسبة لـ « حب حب » حيث ان

السهم الآن يعرف طريقه جيدا نحو طائرته .

(١٦)

كانت الهزيمة التى منى بها رجال «الشاولين» وزعيمهم المنتظر « لى لو» بالغة القسوة .

أدرك « لى لو » أن الكثرة تغلب القوة البشرية . وأن المهارة التى يتمتع بها رجاله لم تستطع أن تتصدى لهذه الأعداد الكبيرة من رجال «الكونج فو» الذين يعرفون جيدا مايتمتع به الشاولين من قوة روحية داخلية . فكر فى زميلة « سن سان » وحمد الله أنها لم تره مهزوما .

أحس « لى لو » بالحسرة ، فهاهو تاريخ قومه كله قد فلت من بين يديه ، ولم يكن أبوه « رأس الحربة القديم » يتصور أن مثل هذه الأعداد من المنافسين يمكنهم أن يعترضوا طريق ابنه . فهذا لم يحدث من قبل فى التاريخ . ولم يكن يمكن إرسال رجال لحماية الزعيم المرتقب إلا من أجل أن يتفرغ فى الطريق للتأمل . والتفكير فى العالم القادم إليه ، أما الرجال فعليهم حمايته من وحوش الطريق .

ـ الآن تغيرت أنواع الوحوش .

هكذا ردد « لى لو » وهو يرى رجاله مقيدين ، أما المعلم الأكبر فقد أمسك «الصندوق المقدس» وراح يتحسسه بكل اعتزاز وردد

ـ الآن يمكن لـ « ميو » أن يصبح « رأس حربة » حقيقيا . . لقد انتظرنا هذه اللحظة منذ سنوات طويلة .

وبكل أدب انحنى أمام « لى لو » وقال :

ـ سوف نتعامل معك بما يليق بك . . سنعيدك إلى قبيلتك بعد أن تغرب شمس اليوم الرابع . .

كانت شمس اليوم التالى قد بدأت فى السطوع . . إنها أول شمس تشرق على العالم قادمة إلى هذا المكان ، وتنطلق بعد ذلك إلى كل بلاد الشرق والغرب . بدا أن « المعلم الأكبر » يتعامل مع «لى لو » بما يليق بتاريخه ، لكنه فى نفس الوقت يخطط كى يصبح ابنه «ميو» رأس حربة ، وهو الذى يكبر « لى لو » سنا بعشرة أعوام على الأقل .

كان كل شىء قد تم إعداده مسبقا . . وهاهو « لى لو » ورجاله يساقون نحو المعسكر الواقع إلى جوار البحيرة . وعليه أن يقيم هناك لمدة أربعة أيام سيصل خلالها « ميو » إلى قمة «الجبل الأسود» وسيقرأ وصية الأجداد ، وسيصبح « رأس الحربة » ، أى سيكون الزعيم الجديد لكل «الشاولين» و «الكونج فو» معا . .

ياله من أمر . . لقد انفلتت الأمور تماما من «الشاولين » . .

وخاصة « لى لو » .

كانت مفاجأة حقيقية لكل رجال دفاع « الكونج فو » وهم يرون السهم ينطلق بعيدا ولايصيب طائرة « حب حب » . .

راح الرجال ينظرون إلى بعضهم البعض وقد بدت الدهشة فى عيونهم وحملقوا فى بعضهم البعض مندهشين . راح « الرامى » يضرب بيده فوق القوس ، وكاد أن يحطمه بيديه القوتين وقد انتابه الغيظ . هتف :

ـ مستحيل ! !

كان الأمر بالفعل ضربا من المحال . لايمكن لأحد أن يتخيله ، فلم يحدث قط أن أخطأ السهم هدفه ، وخاصة أن رأسه ممغنط بقوة . . لكن أحدا لم يكن يعرف أن طائرة « حب حب » غير مصنوعة قط من أى معادن يمكنها أن تجذب إليها المواد المغنطة .

وهكذا انطلقت طائرة « حب حب » إلى طريقها دون أن يصيبها أذى ، أما الصقر فقد تصرف كأنما الأمر لايعنيه بالمرة ، رغم أنه رأى بعينيه القويتين السهم ينطلق على مسافة قريبة منه .

كان الوقت فى بدايات النهار ، والشمس قد أطلقت أشعتها على المكان رويدا رويدا ، وبينما انطلقت طائرة « حب حب » إلى طريقها ، راح رجال « الكونج فو » يعلنون حالة الطوارئ ، وأن

عليهم الحصول على هذه الطائرة بأى ثمن . .

وسرعان مابدأت الاتصالات على طريقة « الكونج فو » . .

وأصبحت طائرة « حب حب » محط الأنظار وهى فى طريقها نحو المكان الذى يوجد فيه « لى لو » . وراح رجال «الكونج فو» ينقلون الأخبار أولا بأول إلى قيادتهم ، حتى يمكن أن يصل فى النهاية إلى «المعلم الأكبر » الذى لم يكن متفرغا الآن لمعرفة أى شىء عن طائرة هواة صغيرة أمكنها اختراق مقاطعة «هينان» . أرض « الكونج فو » و«الشاولين » .

فى تلك اللحظات كان « حب حب » ينطلق فى طريقه الذى رسمته له الخريطة ، فصديقه الجديد « لى لو » قد فتح دائرة الاتصال معه دون أن يدرى . وبذلك يمكن العثور عليه بسهولة . وهاهو صفير «الكومبيوتر الخارق» يزداد كلما اقترب من المكان الذى يوجد فيه « لى لو » .

ولكن ، قبل أن تصل الطائرة إلى منطقة البحيرة ، كان الخبر قد وصل إلى « المعلم الأكبر» بأن هناك طائرة أمكنها اختراق الوادى .

علا وجهه الغضب ، وقال بلهجته الحازمة :

ـ إذا جاء الأجانب هنا . . فالجحيم يشتعل . .

(١٧)

وصدرت الأوامر إلى المقاتلين أن يتركوا الطائرة تدخل منطقة البحيرة . ودخلت الطائرة إلى المنطقة الممنوعة، وأصبحت قريبة من الأرض ، وعلى مدى البصر ، وفى تلك اللحظات ، كان المقاتلون قد استعدوا لإطلاق سهامهم الفولاذية ، نحو الطائرة الصغيرة . فى البداية ، تصوروا الطائرة جسما عملاقا ، لكنهم فوجئوا بشكلها الغريب ، فضلا عن أنها لاينطلق منها أى صوت مثلما تفعل الطائرات .

تمتم أحد المقاتلين :

- إنها طائرة هواة . . ونحن لانضرب الهواة . .

ردد زميله : الهواة لايدخلون وادى «الكونج فو» . .

وساد الانطباع بأن هذه الطائرة لا يمكن أن تكون لهواة . لكن مهما كانت الطائرة وشكلها ، فإن الأوامر صدرت بالتخلص منها . ورغم وجود الصقر إلى جوارها . فإن الأوامر شددت على سرعة إسقاط الطائرة

وبدأت لحظات المواجهة النهائية ، ومن بين الأشجار ، راحت رءوس الحراب تتجه نحو الطائرة ، وامتلأت العيون بالترقب ، وهم يرون الهدف يقترب أكثر وأكثر ، وهو يستعد للهبوط نحو الأرض .

وانطلقت آهه من أحد المقاتلين كأنما الأمر يعنى :

ـ إضرب . .

وانطلقت السهام مرة واحدة نحو الهدف المنشود ، تريد أن تخترقه ، رغم أن الطائرة كانت فى طريقها إلى أرض الوادى . وكأنما يؤكد رجال «الكونج فو» بذلك أن على الأجانب ألا يمسوا قط أرضهم مهما كان الثمن .

حدث كل شىء بسرعة البرق . .

وراحت عيون المقاتلين تنظر إلى الطائرة التى ستهوى بعد قليل والتى سوف تصبح أثرا بعد عين .

وفعلا ، فقد اختفت الطائرة تماما . .

وامتلأت العيون ، والرءوس بالدهشة ، وراح المقاتلون ينظرون إلى بعضم فى استغراب شديد . وهم يتساءلون :

ـ ترى أين ذهبت . . هل سقطت فى البحيرة . . أم ماذا ؟

* * *

كانت مخاطرة غريبة الشكل ، ولايمكن لأحد أن يتوقعها .

فقد هوى جسد « حب حب » فى الفضاء ، وبدا كأنه يقفز فى مياه البحيرة ، من هذا الارتفاع ، بعد أن نجح الصقر وبسرعة منقطعة النظير فى أن يلتقط طرف الطائرة التى تحولت إلى حقيبة فجأة .

إنها مخاطرة حقيقية ، اختار « حب حب » توقيتها بدقة ، ولكن إفلاته من تلك السهام المقاتلة ، جاء بمعجزة من السماء . فانطلقت نحو الطائرة التى قفز منها « حب حب » ، بينما أصابت بعض السهام الصقر فى ريشه الذهبى ، فتطاير فى المكان وراح يرتفع بالطائرة إلى أعلى مسافة يمكنه أن يصل إليها .

كانت السهام قد تبددت فى الجو :

هنا صاح أحد المقاتلين ، آمرا رجاله :

ـ اقبضوا على هذا الأجنبى بسرعة . .

وسرعان ماقفز أربعة من المقاتلين فى مياه البحيرة ، وراحوا يسبحون ناحية المكان الذى سقط فيه « حب حب » ، واندفعوا بمهارة شديدة يخترقون المياه من أربعة اتجاهات كى يمكنهم أن يمسكوا به ولايفلت منهم .

هنا ظهر « حب حب » فوق سطح المياه بعد أن غاص لمسافة كبيرة فى مياه البحيرة تبعا لقوة القفزة ، ورأى المقاتلين الأربعة يقتربون منه . . سرعان ما أدرك الخطر ، فلم يتمكن من التقاط أنفاسه وراح يغوص مرة أخرى فى الأعماق . .

وأسرع المقاتلون وراءه ، فغاصوا فى المياه وراحوا يبحثون عنه .

لم يكن « حب حب » مستعدا للقيام بمثل هذه المغامرة ، ولم

يكن يتصور نفسه مطاردا فى البحيرة ، ورغم ذلك ، راح يسبح فى الأعماق . ولكن رجال « الكونج فو » كانوا بالطبع أشد منه مهارة، وأكثر منه معرفة بدروب البحيرة ومسالكها .

اقترب أحدهم منه ، وراح يقبض عليه بيديه ، كى يخرج به من البحيرة ، ولكن « حب حب » نجح فى أن يفلت منه باعجوبة . ولم يجد أمامه سوى الخروج مرة أخرى إلى سطح البحيرة ، فقد أحس أنه يكاد أن يختنق . ولذا قرر الخروج من المياه، حتى ولو أدى ذلك إلى أن يقع فى قبضاتهم . .

وعندما خرج إلى سطح المياه ، كانت هناك مفاجأة فى انتظاره . .

(١٨)

وانطلق الصقر يلتقط صاحبه ، ثم طار به فى الجو . .

صاح أحد المقاتلين الذين خرجوا من أعماق البحيرة : امسكوا هذا الصقر .

هتف مقاتل آخر ، كان يتأمل المشهد ، عند شاطئ البحيرة :

ـ إنه الفتى الصقر . .

كان هذا يعنى أن هذا الصبى المغامر ، إنما هو صديق للصقر الذى طار به فوق البحيرة ، وأسرع يلتقطه وارتفع به فى الجو .

صفحة فارغة

حاول بعض الرجال أن يقفزوا فى الهواء من أجل الإمساك بالصقر ، لكن أكثرهم مهارة لم يتمكن من الارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار ، أما الصقر « رف رف » فكان قد اخترق الهواء بعشرات الأمتار بينما تمتم أحد المقاتلين :

ـ اضربوا بالسهم المدبب . .

عارضه زميل آخر : لا . . إنه « الفتى الصقر » . .

وسرعان ما اختلف المقاتلون فيما بينهم بشأن « حب حب » فحسب تقاليد «الكونج فو» . فإنه ممنوع على أى أجنبى أن يدخل حرم هذا المكان ، وخاصة فى ظل الظروف الحساسة التى انطلق فيها « ميو » نحو الجبل الأسود كى يصبح « رأس الحربة » الجديد بعد أن استولى أبوه على « الصندوق المقدس » الذى يتضمن تعاليم الجد الأكبر التى تركها منذ مئات السنين .

فى تلك اللحظات ، كان الصقر قد ارتفع إلى مسافة عالية بعيدة ، وحلق فى الوادى بعض الوقت قبل أن يتوجه به إلى ربوة قريبة ، كان قد خبأ عندها « الحقيبة » .

وكان على الاثنين ان يستأنفا المغامرة من جديد .

فرغم الملابس المبللة التى تقطر بالمياه ، ورغم خطورة هذا على «حب حب » ، فإن الكومبيوتر الخارق لايزال يطلق صفيره ليؤكد

أن «لى لو » فى خطر ، وانه موجود فى مكان قريب .

راح « حب حب » ينظر إلى ملابسه المبللة ، ثم انطلق يضحك، وقال :

ـ الحمد لله . فالشمس تسطع الآن . ويمكن للملابس أن تجف فى أقل وقت .

ثم خلع ملابسه وراح يمسكها فى الهواء الذى طوح بها ، وبفضل أشعة الشمس تجففت الملابس القطعة وراء الأخرى . عندما ارتدى ملابسه ، نظر إلى الصقر ، وقال :

ـ الآن . . إلى المغامرة . .

ولم يكن فى حاجة إلى ذلك ، فقد جاءت إليه المغامرة كالعادة ، حيث رأى مجموعة من رجال« الكونج فو» وقد أحاطوا قمة الربوة التى لم يكن يتوقع أن أحدا يمكن أن يصلها بهذه السرعة .

(١٩)

سرعان ما اكتشف الحقيقة . . فلم يكن هؤلاء الرجال سوى «ميو » الشخص المنتظر من رجال «الكونج فو» كى يصبح « رأس الحربة » ومعه بعض أعوانه . كانوا فى طريقهم نحو « الجبل الأسود» ، ولذا انطلقوا على الأقدام نحو الربوة التى لم يلبثوا أن يتوجهوا منها إلى ربوة أعلى . . فى طريقهم المنشود . .

ما إن رآه أحد المقاتلين حتى صاح غاضبا : يا إلهى . . فوق أرضنا أجنبى .

نظر « ميو » إلى «حب حب » نظرة غامضة لم يفهمها . وأحس فى عينيه بأن هناك شيئا غامضا . . لم يدرك « حب حب » أى خوف استبد بهم ، فقد راح « ميو » يضم الصندوق إلى صدره بينما أسرع المقاتلون يحيطونه وقد استلوا سيوفهم وحرابهم من أجل مواجهة الأجنبى الذى استطاع أن يخترق أرضهم .

هتف مقاتل آخر : امسكوه . سوف يخطف « الصندوق المقدس» . .

وسرعان ما ثار لغط ، قال « ميو » وقد علاه ارتباك واضح ، بينما راح الصقر يرفرف بجناحيه القويين فوق الرجال ، وكأنه يعلن تحديه وهو يطلق صرخاته المثيرة :

ـ الصقر . . ابعدوا هذا الصقر . .

تصور « ميو » أن الصقر يمكنه أن يخطف الصندوق ، أما «حب حب » فلم يفهم شيئا مما يدور حوله . فقد كان الرجال يتكلمون بلغتهم الخاصة ، ولكن ملامحهم ارتسم عليها الانزعاج بشكل واضح .

لم يعرف « حب حب » ماذا يمكن أن يفعل ، فهؤلاء الرجال

يبدون خائفين ، أكثر منهم مستعدين للهجوم عليه ، كما اعتقد عند أول وهلة . وهاهو ذلك الشاب الطويل يضم إلى صدره صندوقا أثريا كأنه يخشى أن يأخذه أحد منه . . هنا أشار « حب حب » إلى الصقر أن يبتعد عن الرجال الذين لم يفكروا قط فى الهجوم على الصقر رغم السيوف التى يحملونها فى أياديهم . . والحراب التى يمكنهم إطلاقها فى أى لحظة نحو الصقر ، فيردونه فوق الأرض .

وسرعان ما تراجع الصقر إلى الخلف وساد ارتياح فى قلوب المقاتلين ، لكنه ارتياح مشوب بالحذر . كل الحذر .

(٢٠)

ـ لابد أن أهرب . . يجب أن أصل إلى «الجبل الأسود» . .

هكذا ردد « لى لو » ، وهو يتحرك داخل خيمته الصغيرة التى حبسه فيها « المعلم الأكبر » .

كان كل همه هو أن ينطلق إلى الجبل ، ويسرع وراء « الكونج فو » من أجل استعادة «الصندوق المقدس» ، والإسراع به نحو الهدف المنشود . . تمتم قائلا :

ـ آه يا أبى . . لقد حسبت الأمور بشكل غير صحيح . .

راح فى داخله يلقى اللوم على أبيه لأنه تركه مع هذه المجموعة

القليلة من مقاتلى «الشاولين» ، وقرر العودة مع رجاله إلى قريتهم الصغيرة دون أن يفكر حتى فى أن يحمى مدخل الوادى من المغامرين والمقاتلين، ورجال « الكونج فو» . . .

أراد أن يحمّل أباه مسئولية وجوده الآن فى هذه الخيمة . فلاشك ان « ميو» قد قطع مسافة طويلة نحو الجبل الأسود ، ولكن هناك دائما أملا . وعليه أن يهرب بأى ثمن . . لكن ترى كيف يفعل ذلك وهناك عشرات الرجال يحيطون خيمته ، فالمعلم الأكبر لم يشأ أن يصدر أوامره بتقييده مثل بقية مقاتلى الشاولين، فهو يعرف أى مكانة يحظى بها ، إنه سليل حكماء « الشاولين» ولايمكن إلحاق أى أذى به .

أحس أن صلته بالعالم كله قد انقطعت . وأنه سيظل هكذا حتى تنتهى المؤامرة الكبرى . ويستولى « ميو » على عرشه المنشود الذى لايستحقه، وساعتها يصبح له الحق أبدا فى أن يكون « رأس الحربة » وسيدخل هو وعشيرته فى زمرة قانون «الكونج فو» .

فجأة تحسس ملابسه وأحس أن هناك شيئا غير عادى . هتف وقد علت الفرحة وجهه : « حب حب » . . لايوجد سوى «حب حب» . .

لكن ، سرعان ما انسحبت الفرحة من داخله و علاه الأسى

فـ «حب حب» الآن موجود فى مكان بعيد . وعليه أن يقضى يوما كاملا فى السفر من بلاده إلى الصين كى يصل إليه ويساعده .

ردد : ولم لا . . إنه الأمل الأخير . . يمكنه أن يتصل بأبى «رأس الحربة القديم » . . . وسوف يتصرف .

ووسط التردد الذى أصابه ، قرر أن يتصل بـ « حب حب » دون أن يعرف أنه موجود على مسافة قريبة منه وأنه يمكن مساعدته لو استطاع أن يتغلب على متاعبه .

(٢١)

ما إن راح « ميو » يمر من فوق الربوة إلى طريق آخر مع رجاله ، حتى انطلقت إشارة تحذير من الكومبيوتر الخارق، وجاء صوت هذا الكومبيوتر يعلن : رسالة عاجلة يا أخ « حب حب» . .

ابتسم « حب حب » لهذه الدعابة التى يطلقها الكومبيوتر . كلما جاءت إشارة من أحد الأصدقاء . . راح يضبط مؤشر الاتصال كى يعرف من هو الصديق الذى يطلب مكالمته . . كانت المكالمة قادمة من « جزيلا بوك » فى ألمانيا : مرحبا « حب حب » . . هل قرأت الصحف اليوم ؟

رد « حب حب » على زميلته من خلال الكومبيوتر : إنهم يتكلمون عن وحش الأمازون [1] . .

لم يشأ « حب حب » أن يخبرها عن مكان وجوده . وأنه على الناحية الأخرى من المحيط الهادى ، أى قريبا من الأمازون ، ففى تلك اللحظة انطلق الكومبيوتر الخارق يتكلم : بسرعة يا أخ « حب حب » .

بدا كأنه يشير له أن صديقا آخر يطلب مكالمته ، أسرع « حب حب » بإنهاء المكالمة مع « جزيلا بوك » ليتلقى المفاجأة المنتظرة :

ـ آه . . انه « لى لو » .

وبدأت دائرة الاتصال بين الزميلين . كانت المفاجأة أن « حب حب » قد أرسل إلى « لى لو » قائلا : عزيزى . . أنا هنا . . قريب منك . .

لم يصدق « لى لو » الأمر ، تصور أن « حب حب » يمازحه فى هذه الظروف العصيبة . لكنه سرعان مافهم الحقيقة ، وعرف أن صديقه العربى تمكن بأعجوبة من اختراق المجال الجوى لأرض الكونج فو ، وأنه الآن على مسافة غير بعيدة عنه .

---

(١) راجع مغامرة « اهلا وحش الأمازون» .

صفحة فارغة

احس « لى لو » أن شخصاً ما يتحرك خارج الخيمة ، وأنه قد يدخل إليه فى أى لحظة ، لذا سرعان ما راسله بجملة واحدة بدت بالغة الغموض لـ « حب حب » : أبلغ ابى أننى فى خطر . .

وانقطع الإرسال . . أحس « حب حب » بالانزعاج . راح يحاول الاتصال من جديد لكن كل شىء انقطع . مط « حب حب » شفتيه وهو يتساءل : أنا أعرف أنه فى خطر . . لكننى لا أعرف أين أبوه . .

وأحس بالحيرة فيما يمكن أن يفعله . . وقرر أن يتصرف على طريقته .

لم يعرف « حب حب » أنه فى تلك اللحظات التى قرر فيها أن يتصرف لمساعدة زميله ، كان « المعلم الأكبر » قد دخل الخيمة ومعه اثنان من رجاله يحملان بعض الفاكهة ، والأطعمة الطازجة فوق طبق خشبى يبدو أثريا . . تصرف « المعلم الأكبر » كأنه لم يلحظ الارتباك الذى علا وجهه « لى لو » وأنه حاول إخفاء شىء ما بين ملابسه . اقترب منه وراح يربت على كتفه ، وأشار إلى طعام الفطور الذى تركه دون أن يتناوله : مالى أراك حزينا يا ابن الأخ ! !

نظر إليه « حب حب » نظرة مليئة بالمعانى ولم يتكلم ، قال الرجل : لانريد لبطل مثلك أن يموت من الجوع .

أحس « لى لو» بأن الرجل يسخر منه . فاضطر أن يحاوره : لايوجد « رأس حربة » يموت من الجوع . .

ابتسم الرجل ابتسامة لاتنم عن المشاعر التى تنتابه ، فهاهو «لى لو » يتصرف كأنه « رأس حربة » رغم أنه يعرف تماما استحالة أن ينال هذا الشرف ، وأن كل الأمور تمشى عكس إرادته . ومع ذلك ردد : كل البشر يمكنهم أن يموتوا إذا اشتد عليهم الجوع . .

قال « لى لو » بنفس التحدى : الشاولين يموتون أبطأ . . فإرادتهم ليست فى بطونهم . . بل فى عقولهم .

بدا « المعلم الأكبر » يحس بالانزعاج ، لأول مرة منذ أن استولى على « الصندوق المقدس » ، فها هو الصبى يردد أقاويل فلسفية تتناسق مع تربيته ، كشاولين يجهز نفسه كى يصبح زعيما أو لعله كان يمكنه أن يصبح ذلك . لذا قال : سأجعل « رأس الحربة » يجعلك مساعدا له .

ردد « لى لو » : المناصب فى عالم الشاولين ليست هبة . . بل . .

وتوقف عن الكلام ، ود أن يخبره أن الأمر بالكفاح والتدريب . ولكنه اكتشف أنه غير مدرب جيدا ليكون شاولينيا نموذجيا . أما «المعلم الأكبر » فقد قرأ التحدى فى الطريقة التى ينطق بها « لى لو»

الكلمات ، وأحس أنه سيكون خطرا عليه وعلى « رأس الحربة » الجديد لو تركه ينطلق .. لذا قال : هذه الأفكار خطرة على مستقبلك . .

وهنا سمع الأثنان أصواتا غريبة فى الخارج وترامى إلى أسماع «المعلم الأكبر » كلمة « أجنبى » التى سببت له الانزعاج الشديد . .

أما « لى لو » فقد أحس بارتياح بالغ . .

(٢٢)

وسقطت طائرة « حب حب » فوق أرض المعسكر تحت وابل السهام التى انطلقت نحوه من كل مكان ، كان « حب حب » قد تمكن من القفز من الطائرة قبل أن تسقط فوق الأرض .

راح الرجال يتأملون ذلك الجسم الغريب الذى كان طائرا قبل لحظات . هتف أحدهم ، وهو يتحسس جسمها : إنها من الورق المقوى . .

كانت مجموعة أخرى من المقاتلين قد أسرعت نحو الشجرة التى تعلق بها « حب حب » خاصة أن أحد السهام قد رشُق بملابسه فألصقه بجذع الشجرة وبدا كأنه لايستطيع الحراك . وسرعان ما انطلقت سهام أخرى ترشقه وتلصقه بالجذع حتى لايسقط .

ورغم تلك السهام المتساقطة كأنها حبات المطر فإن الصقر حاول أن ينقذ صاحبه بأى ثمن ، لكن رجال « الكونبج فو» المهرة تمكنوا من القفز نحو الشجرة ونجحوا فى التقاط الصبى الأجنبى بعد أن خلصوه من السهام التى ارتشقت به . . صاح أحد الرجال: حاذروا الصقر . . ولاتمسوه . .

كانوا يكنون مشاعر طيبة نحو الصقور ، والنسور . فالصقر طائر قوى ، وذكى ولايمكن هزيمته بسهولة وهم يعتبرونه رمزا لما ينشدونه من قوة ، وكان البعض يطلق عليه أحيانا « رأس حربة السماء » لمكانته العظمى بين الطيور الجارحة .

لكن « رف رف » ليس صقر صقرًا عادياً ، بسبب لونه الذهبى الخالص ، راح ريشه يعكس أشعة الشمس فانطلقت نحو عيون بعض المقاتلين مما اضطرهم أن يغلقوها وهم يرددون : إنه صقر قوى . . سوف يفقدنا البصر . .

لم يحاول أحد مقاومته ، ولذا راحوا يتكاتفون معا من أجل أن يمنعوه من أن يخلص الصبى الأجنبى من أيديهم . فهاهو شخص غريب قد تمكن من الوصول إلى أرضهم ، وعليه أن يدفع ثمن ذلك مهما كانت هويته .

ووسط مقاومة شديدة من « حب حب » وجلبة راح يصنعها

الصقر فى المعسكر ، خرج « المعلم الأكبر » من خيمة « لى لو » ورأى هذا المشهد الغريب فصاح : ما هذا الهراء فى حضرة « المعلم الأكبر» ؟

بدا شكله مهيبا لـ « حب حب » وهو يراه بملابسه الرسمية التى يرتديها زعيم «الكونج فو » وصلعته التى يبدو كأنها قادرة أن تتحول إلى قرص شمسى يضىء بالاشعة . هتف : الويل لك أيها الأجنبى . لأنك أتيت إلى أرضنا .

(٢٣)

قال «المعلم الأكبر» بحروف أجنبية متكسرة : لولا هذا الصقر الذهبى . . لكنت الآن فى حال آخر . .

راح الرجل يتطلع إلى « رف رف » بإعجاب شديد . بينما انحنى « لى لو » نحو صديقه يحاول أن يضمد جراحه التى أصابته . حاول « حب حب » أن يخفف من وقع الأمر عليه فقال : مسكينة ملابسى فبعد أن جففتها هاهى أصبحت مليئة بالثقوب كالمصفاة .

أحس « لى لو » بالارتياح بعد أن تأكد أن السهام لم تصب صديقه الذى يراه لأول مرة ، وأن خدشا واحدا فقط أصاب ساقه اليمنى . لذا قال : سوف أدبر لك من ملابسى . . ملابس الشاولين . .

صفحة فارغة

بدا كأن « المعلم الأكبر » لايجيد الحديث باللغة الإنجليزية التى يتكلمها كل من « حب حب » و«لى لو » بطلاقة ، نظر إلى الصبيين بإعجاب واضح، وتمتم :

ـ رائع . . هذان صديقان حقيقيان . .

تساءل « حب حب » عما قاله الرجل، فراح « لى لو » يترجم له كل ماقاله . . فى تلك اللحظات كان الصقر واقفا فوق أحد فروع الأشجار الضخمة القريبة . وكأنه يتحين الفرصة للتدخل . الآن ، فمن الصعب مغادرة هذا المكان بعد أن تحطمت الطائرة وليس أمامه سوى أن يختطف صاحبه ويطير به بعيدا عن الخطر .

سأل « حب حب » صديقه : لماذا أنت هنا . . تبدو كأنك أسير . . أو رهينة ؟

وعندما انتهى « لى لو » من سماع الحكاية كانت شمس اليوم الثانى قد اقتربت من المغيب وراحت تقترب من مرقدها . قال الصبى الشاولينى بكثير من الأسى : هأنت ترانى لاحول لى ، ولا قوة .

رد « حب حب » : ليس فى نادينا باب عن اليأس . . نحن لانعرف المستحيل .

أشار « لى لو » إلى المكان الذى احتشد بعشرات المقاتلين من

الكونج فو وقال : لو استطعت أن تخرج من هنا . . فأنا معك . .

رفع « حب حب » عينيه إلى الصقر الرابض فوق الشجرة وقال : لدينا حل . . ولكنه صعب قدر ما هو سهل . .

ولم يستطع « لى لو » أن يفهم ماذا يقصد بالضبط . .

(٣٤)

وأصابت الصديقين الحيرة ، فقد اقترح « حب حب » أن يقوم الصقر بنقل صديقه إلى الطريق الذى يوجد عليه منافسه « ميو » وان يستعيد منه «الصندوق المقدس» . لكن « لى لو » رد فى يأس : لا . . هذه لاتنفع . .

لمعت عينا « حب حب » من الدهشة ، وتساءل : لماذا ؟

ولم يشأ « لى لو » أن يذكر السبب . بدا الأمر غامضا . ولأول مرة فى رحلته أحس « حب حب » أن لعقارب ساعته الصغيرة صوتا مميزا وأن ذلك بمثابة تنبيه أن الزمن يدور ، وأن رجال «الشاولين» سيكون لهم النصر فى النهاية .

وانتابت « حب حب » حيرة من سلبية صديقه . ورآه يضع رأسه بين يديه ويقول : أتمنى أن أموت . . أتمنى أن . .

وبدا الأمر مثيرا للحيرة . تمتم « حب حب » : يا إلهى . . الأمر معقد فعلا ! !

وقرر « حب حب » أن يلتزم الصمت . وكأنه يخبئ شيئا ما فى داخله . وانتظر حتى غابت الشمس . فراح يجلس مع صديقه فى العراء تحرسهما مجموعة من رجال « الكونج فو » ، وقد صنعوا حولهما دائرة حتى لايمكنهما الهروب . . رغم أن أى فكرة فى اختراق هذا الحشد من الرجال تعد ضربا من الجنون ، ورغم ذلك فكر « حب حب » بل فعل . راح يختار اللحظة المناسبة ، وفى سرية شديدة أخرج الكومبيوتر وداس على زره الأحمر ثلاث مرات فانطلقت منه ذبذبات خاصة انطلقت بسرعة نحو الشجرة ووجدت صدى فى مـــخ الصقر الذى تنبه أن عليـه أن يفعل شيئا . .

وسرعان ما اندفع الصقر دون أن يفرد جناحيه وانطلق نحو المعسكر كأنه صاروخ سوف يخترق الأرض ، وقبل أن ينتبه أحد من رجال الكونج فو إلى مايحدث ، وقبل أن يفيق « لى لو » من المباغتة كان « حب حب » قد علا فى الهواء مع صقره الذى فرد جناحيه فجأة ، وأصبح أشبه بمظلة عليها أن تنطلق لأعلى بدلا من الهبوط فوق الأرض .

سرعان ماتنبه الحرس أن هناك شيئا ، بينما قال « حب حب » قبل أن يرتفع : سوف أعيد «الصندوق المقدس» . . فلا تقلق .

وكانت المفاجأة أن صاح « لى لو » وكله أسى : « حب حب » عد . . استحلفك أن تعود . . فأنت لاتعرف السبب .

(٢٥)

قال « لى لو » : أنت لاتعرف أننى يجب أن أستعيد الصندوق بنفسى وإلا فسدت مراسيم التنصيب . .

كان « حب حب » قد هبط ثانية إلى سطح الأرض بعد أن استحلفه صديقه أن يعود ، وألا يذهب لإحضار الصندوق، وما إن هبط فوق الأرض حتى راح الحرس ينقضون عليه وكاد أحدهم أن يكيل له ضربة قوية بقبضته الفولاذية لولا أن اندس « لى لو » بسرعة بين صديقه والمقاتل وصرخ : إياك أن تلمسه .

نظر « حب حب » وسط الظلام إلى صديقه وسأله : لماذا طلبت منى أن أعود .

أخبره صديقه بالأمر . ثم التزم الصمت قليلا . . وقال :

ـ هناك سبب آخر . . فرجالى اسرى . .

قبل أن يذهب وضع « لى لو » يده على كتف صديقه وحاول أن يدقق فى وجهه وسط الظلام . ثم قال له : لاتجعله يعتقد أنك تتدخل فى شئون الشاولين والكونج فو . . فهذا كفيل أن يصيبه بالجنون ويتخذ قرارات غير حكيمة . .

فى تلك اللحظات جاء أحد المقاتلين ليأخذ « حب حب» .
إلى قائد « المعلم الأكبر » ، كان هذا الأمر متوقعا استقر « حب حب» للقاء، بينما قدم « لى لو » بعض التبريرات له ألا يتدخل فى الأمر .

فى تلك اللحظات التى كان فيها الصقر يرفرف بقوة فى الهواء راح المقاتلون يصحبون « حب حب » إلى حيث يوجد زعيمهم الغاضب . الذى ما إن رأى « حب حب » يدخل حتى قال بصوته الجهورى :

ـ حذرتك ألا تتدخل فى شئون «الشاولين» و«الكونج فو» .
ولأن « حب حب » قد توقع أن يقابله « المعلم الأكبر » بهذه الكلمات الغاضبة فإنه أعد الإجابة التى ستزيد من حدة ثورته حيث قال : حتى وإن كان ذلك ضد العدل . .

لمعت عينا الرجل ورأى « حب حب » كأن النيران سوف تنفذ من عينيه وهو يقول زاعقا : من أخبرك أننا ضد العدل . . القوة أساس العدل . .

(٢٦)

وبدا الأمر محيرا . قال« المعلم الأكبر» بنفس الصوت الزاعق :
ـ إياك أن تفهم أننا مثل الأشرار الذين تراهم فى السينما .

يستولون على حق الغير . .

ثم أشار إليه بسبابته اليمنى وقال : نحن لانحب الأجانب لهذا السبب . وغيره . . نحن قوم لهم فلسفتهم ولانتشاجر مع الآخرين من أجل مكاسب مادية . .

كان « حب حب » قد قرر أن يلتزم الصمت حتى يقول الرجل كل مالديه إبان غضبه ، فدائما مايعبر الناس عن كل مافى دخائلهم وهم فى مثل هذه الحالات من الثورة . قال الرجل : هل تعرف لماذا لم نتخلص منك . . لأنك الفتى الصقر . .

وراح « المعلم الأكبر » يحكى له أنهم فى قبائلهم يعتبرون أن الفتى الذى يمكنه أن يصادق الصقر، وهو أحد الطيور الكواسر يتمتع دائما بحكمة ، ولذا فإنه أمام شخص حكيم يمكنه أن يفهم الأمور بسهولة وعلى حقيقتها .

هنا قرر « حب حب » أن يتدخل ، فقال : نبينا العظيم محمد ﷺ يطلب منا أن ننصر أخانا ظالما أو مظلوما .

سكت « المعلم الأكبر » قليلا قبل أن يستجمع نفسه ثم راح يقول : ومن قال إن « لى لو » أخوك . . بل هو أخونا . .

رد « حب حب » : إذن انصره .

ولأول مرة يبتسم الرجل . . بدا وجهه مشرقا ، ومختلفا وهو

يبتسم ، أحس « حب حب » كأن الرجل يسخر منه ، قال « المعلم الأكبر » : أعتقد أن لديكم أيها العرب مثلا يقول « أنا وأخى على ابن عمى » .

وسرعان ما فهم « حب حب » ماذا يقصد الرجل فهو ينصر ابنه على « لى لو » ولذا سعى للاستيلاء على «الصندوق المقدس » .
قال « حب حب » : لكن « الصندوق المقدس » يملكه الشاولين .

رد الرجل الذى لايزال محتفظا بابتسامة العجيبة على شفتيه : أيها الفتى الصقر . قد لاتتغير الحياة كثيرا فى عالم « الكونج فو » فنحن نعيش بنفس عادات أجدادنا . . لكن هناك قانونا أزليا علينا إطاعته ، وهو أن القوة تقود الحق . .

تمتم « حب حب » : ياله من منطق غريب ! !

(٢٧)

كان الأمر غريبا حقا بالنسبة لـ « حب حب » . . فحسب ماتعلمه ، فإن على الحق أن يكون فوق أى قوة . لكن هذا الرجل يعكس الأمر . ويرى أن على القوة أن تقود الحق ، لم يفهم الأمر . . فقال : هل حكى لك صديقك عما يمتلكه ليدافع عن هذا الصندوق الذى يبحث عنه . . لم يستطع أن يحميه لا بالحق ، ولا بالقوة . .

هنا قال « حب حب » : لكننى يمكن أن . .

وتوقف فجأة عن الكلام ، أحس أن ماسيقوله سيغضب الرجل، فقد ود أن يكشف له أن فريق نادى المراسلة يمكنه أن يأتى هنا فى ساعات قليلة من أجل مساعدة « لى لو » فى استعادة صندوق الشاولين المفقود .

أشار الرجل إلى « حب حب » أن يسكت ، وألا يكمل كلماته . ثم قال : أيها الفتى الصقر . . اذهب واسأل زميلك . . هل هو قادر على الدفاع عن « الصندوق » ؟ لو كانت الإجابة إيجابية، فسأعيد له الصندوق .

لمعت الدهشة فى عينى « حب حب » . . سأل : من ابنك ؟

رد : من ابنى . .

بدا الرجل واثقا فى نفسه ، وراح يتذكر حالة اليأس التى أصابت « لى لو » والتى لم يفهم لها سببا . . اشار له الرجل بيديه أن يخرج وكأنه يطلب منه أن يستفسر من صديقه عن إجابة هذا السؤال . استعد « حب حب » للخروج . هنا قال له الرجل : اسمع أيها « الفتى الصقر » . . إذا أراد صديقك أن يثبت أنه أحق بأن يكون « رأس الحربة » . . فأمامه فرصة .

هتف « حب حب » : حقا !!

هز الرجل رأسه كأنه يؤكد كلماته ، أسرع خارجا من الخيمة .
واتجه نحو فناء المعسكر . قابله « لى لو » وقد ملأت عينيه التساؤلات . وضع « حب حب » يديه فوق كتفيه وسأل :
ـ «لى لو » أنت قادر أن تكون رأس حربةاليس كذلك؟
وكانت الإجابة غريبة . . بل كانت صدمة . .

(٢٨)

يا إلهى . . ماذا حدث للفتى الشاولينى . فهو لايستطيع أن يكون « رأس حربة » بالشروط التى أعلنها له « المعلم الأكبر » فى صباح اليوم . وهاهو يطرحها للمرة الثانية .
قال « لى لو » : أنا لم أتدرب ، ولا أريد دخول معركة خاسرة .
ثم راح يشرح لصديقه أن كل شىء قد جاءه بغتة ، وأن أباه قرر أن يرسله فى هذه المهمة الصعبة دون أية تمهيدات ، وأنه وجد نفسه محاطا برجال من «الشاولين» مدربين جيدا ، وكل ماعليه أن يحمل «الصندوق المقدس» ، وأنه عندما يصل إلى قمة «الجبل الأسود» ، أن يفتح الصندوق ، ويقرأ وصايا الجد الأكبر . وبذلك يصبح رأس الحربة .
راح « حب حب » يفكر ثم قال : رائع . . المهم إذن أن نصل ، ومعك الصندوق ، والمعلم الأكبر يعطيك آخر فرصة .

كان « لى لو » يعرف أن هذه الفرصة الأخيرة أشبه بالمستحيل .
لكن « حب حب » قال بكل حماس : لايوجد هناك مستحيل طالما أن هناك فرصة . . حتى ولو أخيرة .

وبكل يأس رفع « لى لو » يده إلى أعلى : ولكننى غير مدرب . . أنا شاولينى فاشل . .

وتراجع « حب حب » إلى الوراء وقد صدمه هذا الإحساس بالفشل الذى انتاب صاحبه . فلا شك أن هذا الإحساس لاشفاء منه بسهولة . راح يفكر ، ثم قال :

ـ هل فكرت لماذا أرسلك أبوك بدون تدريب ، فى مثل هذه الرحلة .

رد : لا أعرف . . لعله يورطنى . .

هنا أكد « حب حب » على الكلمة : يورطك . . فعلا .

ولمعت عيناه فجأة ثم كرر الكلمة مرة أخرى : « يورطك» . . وضغط على حروفها كأنه يؤكدها . . سكت قليلا قبل أن يكمل :

ـ لكن ، هل عرفت لماذا يورطك ؟ . لماذا يرسلك إلى الجبل الأسود ماشيا على قدميك طوال أربعة أيام ؟ .

بكل براءة تساءل « لى لو » : لماذا ؟ رد « حب حب » . . بكل حماس : كى تتعلم فلسفة الشاولين . . من جديد تساءل : ماذا تقصد . . ؟

(٢٩)

هناك ، فى أرض قريبة ، خرج منذ آلاف السنين أمير شاب يدعى بوذا ، إلى الغابة ، ولم يكن قد شاهد من قبل أيا من الرعية ، ولم يكن قد عرف الكثير من الحياة من حوله . لقد قرر أن يعيش حياة بسيطة ، وسار وحده بين الغابات ، فى ليال عاصفة شديدة ، ثم قرر أن يجلس تحت الشجرة وسط هذا الجو القاسى .

وتحت الشجرة اكتشف السر . . وعرف الحكمة . . وتولدت البوذية من فلسفة بوذا ، فالخلاص الإنسانى من متاعب الحياة ، والتوصل إلى أعماق الروح هما أساس هذه الفلسفة . .

تساءل « حب حب » : قل لى ياصديقى : لو لم يخرج «بوذا» فى مثل هذه الرحلة وحده . هل كان له أن يتوصل إلى النرفانا . . فلسفة الخلاص؟

هز « لى لو » رأسه بالنفى . نظر إلى صديقه الذى توقف عن الكلام ، كأنه يحاول أن يشرح له بعينيه مايقصده . . هنا شرد الصبى الصينى قليلا ، وفكر فيما كان تائها عن باله وقد بدأ يتأكد أن أباه أرسله فى مثل هذه الرحلة ، كى يتعلم المسئولية وحده . . وأن عليه أن يكون على مستوى هذه المسئولية . . هتف :

ـ لقد فهمت . .

وأشرق وجه « حب حب » عندما رأى صديقه يفهم أول فلسفة فى هذه الرحلة . «المسئولية» ، وأن عليه أن يتعلم كى يكون « رأس حربة» ،لكن ، فجأة راح وجهه يتغير مرة أخرى . وسأل :

ـ لكن . المسئولية وحدها لن تكفى . . فأنا غير مدرب . .

رد « حب حب » بكل ثقة : ومن أخبرك بذلك ؟ المسئولية معنى كبير وواسع . .

أراد « لى لو » أن يترك زميله يشرح له مايقصده . هنا قال «حب حب» : أليست لديك رغبة فى أن تكون « رأس حربة » ؟

هز رأسه بالإيجاب ، أكمل « حب حب » : إذن . هذا وحده يكفى . .

مط «لى لو » شفتيه فى دهشة ، وقال : أخبرتك أننى غير مدرب . وتدريب الشاولين يحتاج وقتا طويلا . .

وقبل أن يرد « حب حب» على هذه النقطة ، ساد الظلام المكان . . وظهر « المعلم الأكبر » وقد علا وجهه غموض واضح . .

(٣٠)

رفع « لى لو » رأسه إلى الرجل . بدا ضعيفا . بصوته الأجش . قال « المعلم الأكبر » : لا أريد لتاريخ « الكونج فو » و«الشاولين» أن ينظر الىّ كخاطف زعامة ، ولذا سأعطيك الفرصة الأخيرة . .

قال « حب حب » مندفعا : إنه مستعد .

ثم راح يلكزه فى كتفه ، قال « لى لو » فى شىء من التردد ، ولكنه لايخلو من ثقة فى النفس : نعم . .

قال الرجل : إذن ، أمامك فرصة أن تذهب إلى «الجبل الأسود» .

وبرقت عيناه من الدهشة . أسرع « حب حب » يقول :

بسرعة . انطلق . . فنحن مازلنا فى أول الليل أمامك يومان .

تمتم « لى لو » . ثم نظر إلى المعلم الأكبر ، وقال : هل يمكن للفتى الصقر أن يصحبنى ؟

وكان السؤال صعبا ، فلم يسبق لأى أجنبى أن اشترك فى مثل هذه الرحلة . وأمام « لى لو » الآن فرصة العمر الأخيرة بأن يلحق بمنافسه « ميو » قبل أن يصل إلى الجبل الأسود ، وعليه أن ينجح فى انتزاع « الصندوق المقدس » منه بأى ثمن .

توقع « حب حب » أن يهز الرجل رأسه بالنفى ، وحاول أن يفهم أنه فعل ذلك من أجل أن يتيح الفرصة لابنه كى يصل إلى هدفه ، ومافعله كان فى المقام الأول نوعا من الاستيلاء على السلطة ، وإنه لم يتح الفرصة لـ « لى لو » إلا كى يبرئ نفسه أمام التاريخ من تولى ابنه السلطة بالقهر . .

قال الرجل : نحن لانحب أن يدخل الأجانب أرضنا ، خاصة فى مثل هذه الأمور، ثم سكت كأنه يستعد لينطق بقرار خطير :

ـ لكن « الفتى الصقر » شجاع وحكيم ، وأنا أعرف أنه سيرافقك فقط . ولن يتدخل قط فى أمورنا . .

هنا تمتم « حب حب» : أفضل أن أبقى هنا . . وهذه أموركم.

هنا أمسك « لى لو » يد « حب حب » وراح يضغط عليها كأنه يتوسل إليه أن يبقى إلى جانبه فى هذه الظروف العصيبة . .

ولذا سرعان ماغير « حب حب » من لهجته وقال : أمرى لله . .

(٣١)

وبدأت الرحلة المثيرة . . فجأة ، انتفض « لى لو » كأنه قد تناول إكسير الحماس ، ووسط الليل بدأ ينطلق فى طريقه ، وراح «حب حب » يجرى إلى جواره . وهو لايكف عن بث الحماس فيه . أما الصقر فقد أخذ يرفرف على مسافة قريبة كأنه يشارك فى توليد الحماس لدى الفتى الشاولينى .

قال « لى لو » وهو ينطلق : يمكننى أن أجرى . . لكن لايمكننى أن أصارع فتى أكبر منى وأضخم جسما . .

قاطعه «حب حب » : هل تعرف لماذا يطلقون اسم « رأس الحربة » . على زعيم الشاولين ؟

بدا « حب حب » كأنه استوعب الكثير من المعرفة عن الشاولين، لم يرد « لى لو » كأنه يسأله أن يستكمل بالإجابة : هل تعرف رأس الحربة ؟ إنها شيء صغير ومدبب ، ولكن قوتها فى أنها تنطلق بسرعة ثم تصطدم بالهدف . . وحسب قوتها يمكنها أن تنغرس فيه ، كما يمكنها أن تشقه إلى نصفين .

رد « لى لو » : فعلا . . فرأس الحربة عبارة عن سن صغير مدبب . .

أكمل «حب حب » : لكن قوته فى انطلاقه؟

وهنا أسرع « لى لو » من خطواته ، وهو يجرى ، قال « حب حب » : لا أقصد أن تجرى ، ولكن أن تكون يدك وأنت تعارك خصمك قوية . مثل « رأس الحربة » . .

ثم راح يشرح له سر قوة أجداده ، وآبائه ، من رجال الشاولين . فهؤلاء المقاتلون يميلون إلى البقاء فى المعابد ، وفى أثناء هذا يتعلمون أن يضعوا كافة قواهم فى رءوسهم . وليس فى عضلاتهم ، ولذا فإن جميعهم لايتمتع بعضلات قوية ، بارزة . مثل الأبطال فى الأفلام الأمريكية ، وعلى سبيل المثال ، بطل كمال أجسام العالم السابق والممثل حاليا « ارنولد شوارزنجر » ، بل أن تكون هذه القوة فى العقل .

صفحة فارغة

ومن هنا تجئ خطورة المواجهة من أى شاولينى . . حيث تتحول رأسه إلى قوة فعالة ، على المرء أن يركز فيها كل قوته . وعندما يستعد للقضاء على خصمه ، فليس عليه سوى أن يسدد له ضربة واحدة ، تتركز فيها كل ما أعطاه الله من قوة .

ضربة واحدة فقط ، وليس أكثر من ذلك . .

(٣٢)

وقف الشاب العملاق فجأة ، فوق ربوة عالية ، وراح يتطلع نحو قمة الجبل السوداء التى تبدو كأنها فوهة بركان خامد . . وأحس بارتياح شديد ، وراح يتمتم : أخيرا . . كدنا أن نصل . .

ليس أمامه الآن سوى أن يخترق طريقه من فوق الربوة ، وأن يسرع حاملا «الصندوق المقدس» حتى يصل إلى فوهة البركان . وهناك عليه أن يفتح الصندوق ليقرأ الوصية الخالدة ، وبذلك سيصبح « رأس الحربة » لمدة عشر سنوات كاملة . .

قال أحد المقاتلين ، وهو يشعر بالفخر : لقد وصلنا قبل الموعد بيوم ونصف تقريبا . . وكانت المفاجأة أن قال « ميو» : ولذا . . سوف نتوقف هنا يوما بأكمله . . كى نتخلص منه .

ثم راح يضحك ضحكة خبيثة ، وقال : هكذا تقول الأوامر . . على أن أنتظره هنا ، وأن أدخل معه فى معركة أحطم فيها

عظامه فيها . .

ثم سكت ، بدا كأنه يستعد لأن يقول شيئا هاما : أنا لن أحطم عظامه ، بل سأتخلص منه ، حتى لايكون هناك وريث للشاولين . .

ثم راح يخلع ملابسه ، ويعرضها لأشعة الشمس ، كأنه يتباهى بقوته ، وتمتم : نحن فى انتظار المعركة الكبرى . .

بدا كأن الأمور قد اتخذت منحى مختلفا ، وأن مافعله « المعلم الأكبر » لم يكن سوى خطة خفية للتخلص من « لى لو » باعتباره الوريث الشرعى لعرش الشاولين ، وأن الأمر لايتوقف عند حد عرقلة وصوله إلى قمة « الجبل الأسود » ، بل أن يتم إنهاك « لى لو » بحيث إنه عندما يصل إلى ساحة القتال . يكون قد أنهك تماما . . ويسهل التخلص منه . .

راح « ميو » يجرى فى الساحة . وقد علاه الاعتزاز بنفسه ، وهو يغنى : أيها المقاتل الضئيل . . تعال . . فقبضة يدى فى حاجة إلى صدغك . .

(٣٣)

فجأة ، توقف « حب حب » عن الجرى ، بينما انطلق « لى لو » فى طريقه دون أن ينتبه إلى ذلك ، وعندما التفت خلفه ، كانت

المسافة التى تفصله عن « حب حب » قد طالت . . ابتسم ، وهو يقول : هه . . هل تعبت ؟

جاء صوت « حب حب » عبر الأشجار : لا . . بل لا أريدك أنت أن تتعب . . عليك ألا تنهك مخك .

توقف « لى لو » عن الجرى ، وتنبه أن صديقه قال كلاما يجب الانتباه إليه . . هنا كان « حب حب » قد اقترب منه . لاحظ أنه لم يعد يلهث مثلما كان فى بداية الرحلة . قال : رائع . . لقد تدربنا على الجرى بما يكفى . . تساءل « لى لو » مندهشا : تدربنا .

هز « حب حب» رأسه وقال : نعم . كان الجرى بمثابة تدريب . وليس فقط محاولة للحاق بـ« ميو » . بدا الفتى الصينى شاردا وهو يتمتم : فعلا . . فالمسافة بيننا طويلة . . . ولن نلحق به . . قال « حب حب » : المرحلة القادمة أهم ، وهى التدريب الداخلى . . هل أنت قوى العزيمة . . ؟ . .

ـ طبعا .

ـ إذن . عليك أن تكون « رأس حربة » قبل أن نبلغ الجبل الأسود . .

ثم سكت . . شرد « لى لو » قليلا كأنه يتذكر مايجب أن يفعله فى المرحلة القادمة ، لقد ذكره « حب حب » بواجبه

كشخصصاحب فلسفة، وألا تعتمد هذه الفلسفة على قوة العضلات، بل على قوة الإرادة . إنه يحاول أن يقوى فيه عزيمته . هذه العزيمة التى يقدسها رجال الشاولين .

تذكر كلمات « حب حب » وازداد إعجابا ، فرغم أنه عربى الموطن ، فإنه يعرف الكثير عن« الشاولين» و«الكونج فو» ، بل إنه يجيد رياضة الكاراتيه ، ويعرف كيف يدافع عن نفسه . .

سأل « حب حب » : ماذا بك ؟

أومأ « لى لو » برأسه ، وقال : أحاول أن أتذكر شيئا عن قبيلتى يشجعنى .

قال « حب حب » : عرفت تحب أن أذكرك أنا ؟

ببساطة ، قال : ولم لا . . هيا .

رد « حب حب » : أن قوة «الشاولين» فى أذرعتهم ، وأنهم يتخلصون من خصمهم بضربة واحدة . .

(٣٤)

وهكذا بدأ « لى لو » مرحلة جديدة تماما . . تذكر كيف يقوم المقاتلون من قبيلته بالصمود فى وجه الخصم فلا يتحركون . ويبدون كأنهم أوتاد راسخة فى الأرض، من الصعب على أحد أن يقتلعها مهما كانت قوته . إنه يركز كل قوته فى عقله . هذا العقل

الذى عليه أن يوجه الذراع لتتحرك مرة واحدة مباغتة ، فتطوح قبضتها بالخصم بضربة واحدة . . تسقطه أرضا . . لايمكنه أن يقوم بعد ذلك إلا وقد اقتنع بقوة الخصم .

بدت المشكلة عويصة . قال « لى لو » : هل يمكن أن أتدرب على هذا التركيز فى ساعات قليلة ؟ . بكل ثقه رد « حب حب » : فى ساعات قليلة إذا أردت ، وفى شهور طويلة إذا أردت أيضا . .

لأول مرة ابتسم « لى لو» . وقال : لا . . لو استطعت أن أفعل ذلك فى دقائق لفعلت . .

قال « حب حب » : الأمر صعب . . وليس صعبا .

هز « لى لو » رأسه ، وقال : سوف أحاول . . كانا يقفان وسط ساحة صغيرة ، وبدا أن « حب حب » سوف يقوم بتدريبه على المواجهة الحاسمة ، ولكن قبل أن يبدأ التدريب، قال « حب حب » :

ـ الآن فهمت لماذا تعمد « رأس الحربة القديم » ـ ابوك ـ أن يدفعك إلى الطريق دون تدريب .

رد « لى لو » : وأنا أيضا . . لقد تركنى لأتعلم من الطريق أكثر مما سأتعلمه من التدريب التقليدى . .

زمّ « حب حب» شفتيه . وقد أحس بالرضاء يتسرب إليه . .

الآن ، فإن الأمور سوف تسير على مايرام . وهاهو صديقه قد استعاد ثقته بنفسه ، وبدا أكثر استعدادا لأن يكون شخصا مختلفا يمكنه أن يتحمل المسئولية . .

وأى مسئولية . . لكن ، ترى هل يمكن للعزيمة وحدها أن تكفى فى هذه المواجهة الشرسة ؟ كانت الإجابة صعبة ، فقد تراءى للفتى «الشاوليني» أن عليه أن ينتصر لأسباب عديدة . منها أنه لايمكن أن يعود إلى أبيه دون أن يكون « رأس حربة » ، فهذا وحده كفيل أن يصيب القبيلة كلها بالعار ، طيلة العمر . . لذا ردد :

اطمئن . . سوف أبذل مافى وسعى . .

وراح يتلقى التدريب المكثف ، ولكنه لم يعرف أن النصر لايأتى بالنيات الطيبة . .

(٣٥)

وأحس « ميو » بالغيظ الشديد . . راح ينظر إلى الأفق ، لعله يرى خصمه قادما إليه ، كما وعده أبوه . لكن « لى لو» لم يظهر فى أى أفق . . راح يضم قبضته ، وبكل قوة ضرب جذع شجرة ضخما ، على مقربة منه ، فترك أثرا فى الجذع وهو يصرخ :

سوف أحطم عظامه . .

مسكين يا « ميو» لقد حلت الكراهية فى قلبه ، مكان المنافسة .

وهاهى الرغبة الشريرة تستبد به ، ليس فى أن ينتصر على خصمه . بل فى أن يدمره . وأن يتخلص منه ، حتى لايكون هناك وريث شرعى للشاولين . .

إذن ، فهى الفرصة الأخيرة للشاولين . . قال رئيس المقاتلين :

ـ لاتضيع قوتك فى ضرب الأشجار . .

كشر « ميو » عن أنيابه ، وبدت أسنانه القوية كأنه يود أن يلتهم وحشا كاسرا ، وقال :

ـ أدعو الله أن يظهر حالا . . فى هذا المكان ، فلن أجعله يتألم كثيرا . . ضربة واحدة فقط . .

قال رئيس المقاتلين : ستكون مباراة ، وليست معركة . .

بغيظ شديد رمق « ميو » المقاتل وقال له : أنا لا أعرف المباريات . بل أجيد العراك والقتال . . أنا مقاتل . نحن مقاتلو «الكونج فو» .

تراجع « رئيس المقاتلين » نحو الخلف ، وتكلم إلى نفسه بحسرة : خسارة . . لقد تحولت الفلسفة الروحية ، إلى عنف جسدى . . نحن ننكره . .

ثم التفت إلى « ميو » وقال : سيدى . . يا « رأس الحربة » المنتظر . . أنا لن أسمح بالخروج على قواعد القانون . .

وبنفس الغيظ الذى استبد به ردد « ميو » : وبصفتى « رأس الحربة» فأما آمر بتحطيم كل هذه القوانين البالية . . بعد ساعات سوف يكون هناك قانون جديد . . مفهوم . ؟

وهز رأس المقاتلين رأسه بالنفى ، وكأنه يتحدى زعيمه المنتظر. .

(٣٦)

واستبدت الحمية بالفتى « لى لو » إلى حد لم يكن يتصوره قط فى حياته . . واكتسب لنفسه ثقة لم يعرفها أحد من قبل ، من رجال الشاولين . . بدا الأمر غريبا ، فهاهو « حب حب » قد اختار أن يغفو قليلا إلى جوار إحدى الشجرات ، بينما راح « لى لو » يستمع إلى كل النصائح التى أخذ الكومبيوتر الخارق يمليها عليه . .

أجل . . إنه الكومبيوتر الخارق الذى يجيد الكثير من المهام . . ويمكن برمجته ليصبح مدربا فى فنون القتال النادرة . . إنه مدرب بالغ المهارة فعلا . فهو يعرف كيف يوجه الشخص الذى أمامه ليكون مقاتلا محترفا فى أقصر وقت . . شاهد هذا المنظر العجيب الصقر « رف رف » ، ورأى ا كيف أن « لى لو » قد اكتسب مهارات جديدة . وبدا مستعدا تماما لمقاتلة ثور ضخم ، حاد القرنين . بعد أن كان قبل ساعات مجرد صبى مسالم ، لايكاد يعرف شيئا عن

فنون القتال . .

وعندما انتبه « حب حب » من غفوته ، رأى العرق يتصبب من جسد « لى لو » ، وقد بدا أشد حماسا من ذى قبل. أسرع الفتى الصينى نحو « حب حب » . . وقفز فى الهواء قفزة عالية ، ثم سقط أمامه . . وقال له :

ـ مارأيك . . ؟

رد « حب حب » : أنت أول مقاتل فى العالم يتم تدريبه بالكومبيوتر .

علق « لى لو » : وأنا اعترف أنه لولا هذا الكومبيوتر الخارق لآثرت أن أبقى فى هذه الغابة بقية حياتى . . لأننى لم أكن أستطيع أن أصبح « رأس حربة» .

قام «حب حب » من مكانه وراح يضع يديه فوق كتفىّ صديقه ، وقال وهو بربت عليهما : الآن . . أكاد أن أناديك بـ «رأس الحربة» . .

هز « لى لو » رأسه فى أسى ، وقال : لا ، فأمامى منافس خطير . . ليس من السهل التغلب عليه . .

سأله « حب حب» . هل أنت خائف منه ؟

هز رأسه بنفس الأسى ، وقال : أكذب عليك لو قلت عكس

صفحة فارغة

ذلك . . فكثيرا ماسمعت عنه . . إنه مقاتل لايعرف اليأس . . ولا الرحمة . .

(٣٧)

ـ أيها الخائن . سوف تدفع الثمن غاليا . .

وبكل ثقة رد « المعلم الأكبر » : العبرة بمن يصل أولا إلى قمة الجبل الأسود . . بعد أن يهزم الطرف الآخر شر هزيمة . .

كان « رأس الحربة » القديم قد تمكن أخيرا من الوصول إلى المعسكر الذى أقامه خصمه اللدود ، حدث ذلك فى ساعة متأخرة من الليل ، وبواسطة مجموعته القليلة من الرجال ، تمكن« رأس الحربة القديم» من أن يحرر رجاله الذين وقعوا فى الأسر . . ثم نجح فى السيطرة على المعسكر تماما ، وحدثت المواجهة المنتظرة ، بين الرجلين . . بين رأس « الحربة » و« المعلم الأكبر » . . قال الأول :

ـ لم نكن أبدا ، نحن «الشاولين» ، رجال حرب . ولم نسع للنيل من مكاسبكم . .

رد « المعلم الأكبر » بأعصابه الباردة : نحن الآن الأكثر قوة . ومالا ، وشهرة . . فلا أحد يعرف «الشاولين» فى العالم . . بينما رجالنا من « الكونج فو » قد أصبحوا نجوم سينما ، وأثرياء كبارا

ومن حقنا أن يصبح « رأس الحربة الجديد » واحدا منا . .

أحس « رأس الحربة » القديم بأن الأمور مملوكة فى يد خصمه . فهو يعرف أين يوجد ابنه ، ويعرف أين يوجد «الصندوق المقدس» . رغم أنه قد استطاع السيطرة على المعسكر تماما . . راح يفكر فيما عليه أن يفعله من أجل أن تمر الأمور لصالح ابنه ، لذا قال :

ـ لم أكن أتصور أن يعترض ابنى لصوص فى الطريق . يسرقون منه صندوقه . . تركته كى يتعلم الحكمة من الرحلة . . كنت أعرف أن بعض الوحوش قد تخرج له ، وتضايقه ، لذا أرسلت معه عددا قليلا من الرجال . لكن وحوشا أخرى اعترضت طريقه .

حاول ألا ينظر فى وجه خصمه ، وهو يكمل : خسارة . . هذه الوحوش كانت من أبناء العم . .

هنا صرخ « المعلم الأكبر » بصوته الجهورى ، وقال : لسنا لصوص طريق يا ابن العم . . لكن القوة قبل الحق .

رد « رأس الحربة القديم » : القوةوالحق كيان واحد ، والقوة الغاشمة ضعيفة .

تساءل « المعلم الأكبر » : هل يعقل أن يكون « رأس الحربة » شخصا بلا تجربة مثل ابنك ؟

رد الآخر بكل ثبات : لقد قطعت عليه طريق التجربة . . وحرمته منها . . لكن إذا وصل إلى طرف الجبل ، سيكون قد توصل إلى شيء . . هذا هو قانوننا . .

وهناعرض « المعلم الأكبر » اقتراحا لفض النزاع بين الأطراف المتصارعة . .

(٣٧)

لم يكن أمام « لى لو » سوى أن ينطلق نحو «الجبل الأسود» ، كى يلحق بخصمه اللدود ، قبل أن يتمكن من الوصول إلى هناك . لذا كان الصقر هو السبيل الوحيد كى يلحق بالزمن . .

اعترض « لى لو» قائلا : يجب أن أصل إلى هناك على قدمىّ . . هكذا تقول الأوامر . .

رد « حب حب » : عليك أن تتصرف . . ولاتنس أن للصقر مكانه طيبة لديكم .

بدا مترددا . لكن الصقر كان يرفرف أعلاه ، كأنه يستعد لمواجهة أصعب المواقف . . أخذ يتحرك فى قلق ، وقال : إنها رحلة غير سهلة . .

تمتم « حب حب» : وعلينا أن نتعلم منها . . هه . . هيا . .

نظر الصبى الصينى إلى الصقر ، وقال : هل يمكن أن يعرف

صفحة فارغة

المكان؟

هنا أحس « حب حب » أن تردد صديقه قد زال ، وأنه يسأل الآن فقط عن إمكانية الوصول إلى الجبل . ضحك « حب حب » وقال وهو يشير إلى الصقر : اسأله . . فهو صقر خارق . . مثلما الكومبيوتر خارق . .

لم يكن « لى لو » فى حاجة إلى أن يفعل شيئا سوى أن يرفع يده لأعلى . . . وسرعان ماراح الصقر بمخالبه القوية يلتقطه ، ثم انطلق به فى الفضاء . . وكأنه يعرف طريقه جيدا .

كان عليه أن يختصر الزمن ، وأن يجعل « لى لو » يصل قبل الموعد ، وطار حتى اقترب من « الجبل الأسود » لكن فجأة انطلق سهم نحوه كأنه يريد أن يخترقه صاح : «رف رف» . . خذ حذرك . .

ونظر « لى لو » لأسفل . . ورأى خصمه ورجاله . . لقد أطلق « ميو» سهمه نحو الصقر عندما رآه يحلق وهو يردد : أنا لا أحب الصقور . . لأنها قوية . .

هنا تنبه أن الصقر يحمل بين مخالبه مخلوقا آدميا ، يرتدى ملابس المصارعة البيضاء، فانتابه إحساس ما بأن ظهور الصقر نذير ما بالنسبه له . . ردد : الشاولينى يرتدى ملابس القتال . .

إذن فهو مستعد ،

ورغم أنه أكبر منه سنا ، وأقوى جسدا ، فإن جزعا ما أصابه بشدة ، وهو يرى خصمه يقفز أمامه . .

(٣٨)

بكل ثبات ، راح « لى لو » يتحرك نحو « الصندوق المقدس» الذى يحمله بين يديه وأمسكه وقال : هذه أمانتى . . ردت إلىّ . . وما إن أمسكها بين يديه ، حتى أصابته ضربة قوية كالها له « ميو » بيديه ، فكادت أن تطوح به فى الهواء ، ولكنه تماسك بشدة ، وكان كل همه هو ألا يسقط ، وهو ممسك بالصندوق . ابتسم فى وجهه وقال : الضربات الصغيرة تقوى الجسد .

واشتد الغضب بـ « ميو» . . فهل هذه كانت ضربة صغيرة ، إنه يعرف أن الشجرة العملاقة القريبة قد اهتزت قبل قليل حين لكمها بمثل هذه القبضة ، وكادت بعض أغصانها أن تسقط فوقه، وفوق رجاله . .

أسرع الرجال نحو « لى لو » يودون أن يستردوا منه الصندوق لكنه راح يستدير حول نفسه بمهارة كأنه يعلن لهم أنه قادر على مواجهتهم جميعا بيده اليمنى ، بينما هو يحمل بيسراه «الصندوق المقدس» .

هنا صاح « ميو » فى رجاله : اتركوه . . فهو لى . . وقد جاء إلى مصيره . .

وابتعد الرجال ، وراحوا يصنعون حول الخصمين دائرة واسعة ، يمكن أن تدور فيها أكبر معركة بين «الكونج فو » والشاولين ، بدا « لى لو » واثقا فى نفسه وراح يضم صندوقه إلى صدره وأشار إلى خصمه بسبابته اليمنى : أنا لا أريد القتال . . ولا أحبه . . ولا أميل إليه . .

هنا كشف « ميو » عن أسنانه القوية ، وابتسم بخبث ، وقال وهو يقفز حول نفسه كأنه يستعرض قوته : أما أنا فأحبه كثيرا . . بل أعشقه . . ولا أعيش بدونه . .

تمتم « لى لو » : هذا شأنك . . أرجوك افسح لى الطريق . . فالشمس اقتربت من المغيب ، ويجب أن أصل إلى قمة البركان . .

ضحك « ميو » ساخرا ثم قفز قفزتين عاليتين فى الهواء . وقال :

ـ وانا لا أمنعك . حاول إن استطعت .

ثم راح يقفز فوق « لى لو » الذى تذكر كيف قفز مقاتلو «الكونج فو» فوق «الشاولين» وأمكنهم التغلب عليهم .

(٣٩)

وسط هذا التحدى البالغ القسوة لم ينتبه أحد من المقاتلين أن الصقر طار ثانية وانطلق فوق الجبال الخضراء وراح إلى صاحبه «حب حب» من أجل أن يأتى به ليشاهد وقائع تلك المواجهة بين «ميو» و « لى لو » .

وبينما « حب حب » فى طريقه إلى ساحة المواجهة ، كانت المعركة الأخيرة قد بدأت بالفعل . فهاهو « ميو » قد راح يستفز خصمه بكل مالديه من شراسه . وقوة ، من أجل أن يستفزه . لكن « لى لو » بدا كأنه قد وعى درس الكومبيوتر الخارق جيدا . فأخذ يركز تفكيره فى أمور بعيدة ليست لها علاقة بما يدور حوله. وتخيل نفسه ، وقد أصبح « رأس الحربة » يفهم جيدا كيف يكون الإنسان فى مواجهة الأزمات ، وكيف يمكنه أن يرتفع عن متاعب الجسد ، وأن يسمو إلى قوة الروح .

كان المشهد غريبا حقا . . فهاهو « ميو » يقفز إلى أعلى تارة . . ثم يقفز جانبا تارة أخرى . . ومن أجل أن يستعرض عضلاته اندفع بقبضته نحو الأرض ، . فضرب بكل قوة ، وسرعان ما انفجرت المياه تحت قبضته التى بدت أشبه بحفار ضخم ، وأخرج ما فى باطن الأرض .

صرخ « ميو » وهو يستعد لضربته الفاصلة : الآن . . أنت غير موجود فى الدنيا . .

وراح يصرخ صرخة عالية ، هزت أصداؤها قلوب المقاتلين الخشنة ، وبدت الأشجار كأن هزة أرضية ضخمة قد زلزلت الأرض من قمتها ، أما « حب حب » نفسه فقد كاد أن يسقط من بين مخالب صقره وهو يقترب من الأرض لشدة الصرخة وأصدائها التى راحت بعيدا نحو منتصف الطريق كأنها تبلغ كلا من مقاتلى الكونج فو والشاولين القادمين لمشاهدة هذه المعركة الحاسمة أن الأمور انتهت لصالح « ميو » الزعيم المنتظر . .

وبكل مالديه من قوة ، اندفع « ميو » نحو خصمه وهو لايكف عن إطلاق صرخته الغريبة . . بينما وقف « لى لو » ثابتا فى مكانه كأنه سلم مصيره إلى ربه ، وأنه بالفعل سيكون خلال ثوان غير موجود على ظهر الأرض .

أغلق « لى لو » عينيه ، وراح يضم « الصندوق المقدس » إلى صدره كأنه يود أن يأخذه معه فى رحلته الأخيرة ولن يتخلى عنه ثم فجأة فتح عينيه وراح يركز يده اليمنى على الهدف ، وبكل ماوهبه الله من قوة فى عقله انسابت إلى ذراعه . . وقبضة يده . . وفى ثوان قليلة كان « ميو » قد طار مرة أخرى فوق الأرض . .

صفحة فارغة

(٤٠)

هتف « حب حب » : يا إلهى . . لم أرمثل هذا قط . .

لم تمكنه الدهشة من التصفيق ، بينما راح الصقر « يرفرف» بكل مابجناحيه من قوة ، فهو لم ير أيضا مثل هذا الأمر فى حياته . . ولم يتصور أن هذا يمكن أن يحدث .

تخيل الصقر أن « لى لو » سوف يقفز فى الهواء ليتفادى الضربة الشرسة الموجهة إليه ، لكن « حب حب » كان يتوقع أن يفعل صديقه شيئا . . لكن أبدا ليس بمثل هذه المهارة التى رآها .

كان أشبه بتمثال صغير ، يضم الصندوق إلى صدره بيسراه . . وفجأة ، قبل أن يلمسه خصمه بقبضته القوية ، تحرك ذراعه الأيمن حركة سريعة ، وانطلقت قبضته تدفع « ميو » بكل مابها من قوة فطار فى الهواء . .

ثم راح يسقط فوق الأرض . . صاح « لى لو » : قلت لك أنا لا أحب الشجار . .

كان « ميو » غريب المنظر ، وهو راقد فوق الأرض ، راح يغالب ألمه ، فقد كانت الضربة قوية ، إستطاعت أن تخلع عظمة كتفه الأيسر .

لكن ، رغم قوة الضربة ، فإن « ميو » القوى ، تحمل آلامه ،

ونظر إلى خصمه بكل غضب وتمتم : أيها الشاولينى . . سأعلمك كيف تقاتل على طريقتى .

هنا « صرخ « حب حب » : لا . . إلا هذا . .

كان « ميو » قد أسرع نحو أحد المقاتلين ، واستل منه سيفه . وبكل سرعة اندفع يمسكه بيده اليمنى التى لم تصبها ضربة « لى لو» بعد ، وانطلق نحوه يريد أن يشطره بكل مابه من قوة . . هتف « لى لو » : لا . . أنا لا أحب هذا . .

ومرة أخرى راح يغلق عينيه ، كأنه فى هذه المرة يعرف أن نهايته قدحانت ، وأن السيف يمكن أن يؤدى مفعوله تماما . . بينما انطلق « ميو » يصرخ بكل قوته ، لكن فى هذه المرة بدت الصرخة ضعيفة خائرة ، ولكنها مليئة بالغيظ والضيق . .

وفتح « لى لو » عينيه مرة أخرى ، والصرخة تقترب منه ، وراح يفكر فى أشياء عديدة ، أخذت تنتقل من رأسه إلى ذراعه الأيمن . وضم أصابعه إلى بعضها ، تصنع قبضة تركزت فيها كل قوته . . وراح يطوحها فى الهواء . .

لم يستمر الأمر أكثر من ثانيةواحدة . . بل أقل من ذلك . . وانطلق « ميو » فى الهواء ، وقد أطلق صرخته الحادة المليئة بالألم بينما تطاير سيفه فى الهواء . .

(٤١)

ترددت الصرخة فى أرجاء الجبال والغابات . . هتف « حب حب » بكل إعجاب : هائل . . لم أر قط مثل هذا فى حياتى . .

أما المعلم « الأكبر » ، فقد سمع الصرخة على مسافة بضعة أميال . . وسرعان ما وقف مكانه . وقد أحنى رأسه ، وتمتم : هذا صوت ابنى . . إنه مكسور . .

ودون أن يدرى ترك سيفه من يده فسقط أرضا . . بينما أحس «رأس الحربة القديم» أن رسالته التى ورثها عن أجداده وصلت أخيرا إلى يد أمينة . إلى يد ابنه الذى سوف يفتح الصندوق بعد قليل وسيتلو وصية الأجداد . .

لكن فجأة تنبه إلى شىء ، فالشمس تكاد أن تقترب . .

فى تلك اللحظات كان « حب حب » قد تنبه أيضا إلى نفس الشىء فى ساحة القتال فهتف : أسرع . الشمس تكاد أن تغيب .

التفت « لى لو » إلى « حب حب » وبدا كأنه قد استيقظ من غفوة . ثم ابتسم له ، وراح يضم «الصندوق المقدس» إلى صدره . وكأنه لم يشترك قط فى معركة حاسمة قام فيها بضرب خصمه القوى ضربة واحدة حطمت له كتفه الأيمن وأسقط سيفه فى الهواء . .

فى تلك اللحظة ، حاول المقاتلون أن يقتربوا من « لى لو » كأنهم

صفحة فارغة

سيمنعونه من الوصول إلى هدفه . هنا قال « حب حب » بكل حماس : دعوه . . إنه « رأس الحربة » وصاحب « الصندوق المقدس» . .

وبدا الأمر غريبا فكأنما المقاتلون قد فهموا لغته التى يتكلم بها . لقد تكلم باللغة العربية من كثرة ما أصابه من دهشة وحماس .

لوح « لى لو » إلى صديقه بيده اليمنى كأنه يودعه . هنا اقترب «حب حب » منه ، ثم راح يصافحه بحرارة شديدة . .

شىء ما جعل « حب حب » يهتف : يا إلهى . . إنه الآن شخص آخر . .

(٤٢)

أحس وهو يصافحه أنه أمام زعيم جديد . . سوف يولد بعد دقائق . . قبل أن تغطس الشمس فى الأفق ، وإنه لم يعد « لى لو » صديقه المسالم الخائف من ضعفه .

سحب « لى لو » يده من يد صديقه ، ثم مدها له مرة أخرى وهو يقبض على الكومبيوتر الخارق . . سرعان مافهم « حب حب» الأمر . . فهاهو « لى لو » سوف يدخل إلى دنياه الجديدة . عالم الشاولين . وهو يعيد له الكومبيوتر ، كى يتفرغ لمهمته المقبلة . .

أمسك « حب حب » الكومبيوتر . . وفى لحظات كان

الصديقان يتبادلان العناق الحار . . خيل إليه أن صديقه يحبس دموعه . هنا سمعه يقول : شكرا يا « حب حب » . .

هز « حب حب » رأسه وهو لايزال يعانقه . أكمل « لى لو » : تحياتى إلى «اعضاء نادى المراسلة » . .

تمتم « حب حب » : أسرع . . الشمس تكاد تغيب .

قال «لى لو » قبل أن يتوجه إلى طريقه : الوداع « ياحب حب» .

رد «حب حب » : لا وداع . . أنا لا أحب تلك الكلمة . . ربما إلى لقاء . .

ثم سكت وراح يغالب أشجانه . . وقال : الشمس . . أسرع سوف تغيب الشمس . .

وانطلق « لى لو » فى طريقه . بدت خطواته كأنها قفزات ، أما عدوه فكان أشبه بالطيران . . بينما استعد « حب حب » للعودة إلى حيث توجد الطائرة من أجل إصلاحها والعودة بها إلى بلاده . .

صفحة فارغة

رقم الإيداع : ٨٧٣٦/ ٩٤
I.S.B.N. 977 - 09 - 0229 - 2

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤

بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣